جامعة الانبار

كلية التربية للعلوم الإنسانية

القسم العلمي: اللغة العربية

المرحلة الدراسية: الثالثة

المادة: الأدب العباسي

محاضراة مادة:

عنوان المحاضرة الأولى: العصر العباسي الثاني

The second Abbasid era

المحاضرة الأولى

العصر العباسي الثاني

The second Abbasid era

العصر العباسي الثاني أو عصر نفوذ الأتراك (٢٣٢-٣٣٤هـ/٨٤٧ -٩٤٦م)

هي الفترة من عام ٨٤٧م حتى سقوط الدولة العباسية وسقوط بغداد (١٢٥٨) ومقتل أكثر من ٢ مليون من سكانها وحرق مكتباتها وإعدام علمائها على يد المغول بقيادة هولاكو خان وانتقال العاصمة العباسية إلى القاهرة.

يبدأ العصر العباسي الثاني بخلافة المتوكل سنة ٢٣٢هـ/ ٨٤٧م، وينتهى في ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م، في خلافة المستكفى بالله عبد الله بن المكتفى بن المعتضد. ويعرف العصر العباسي الثاني بعصر "نفوذ الأتراك" حيث برز العنصر التركي، واستأثر بالمناصب الكبرى في الدولة، وسيطر على الإدارة والجيش. وقد تمت الاستعانة بهذا العنصر التركي المجلوب من إقليم "تركستان" و"بلاد ما وراء النهر"، استعان بهم المأمون والمعتصم في العصر "العباسى الأول". وظهرت بوادر هذا الضعف في مستهل هذا العصر الذي تختلف ملامحه عن العصر العباسي الأول.

وامتازت هذه الفترة بعدم استقرار الخلفاء طويلا في الحكم وعدم امتلاكهم السلطة المطلقة للحكم فكانت سلطتهم اسميه أي يملكون الخطبة والعملة فقط (الدعاء لهم في صلاة الجمعة وكتابة اسمائهم على العملة)، بسبب امتلاك القادة العسكريين والوزراء الأتراك الذين اتسعت رقعتهم في الدولة العثمانية، السلطة الحقيقية في قيادة الجيوش وتعيين الخلفاء مثلما يشاؤون.

المحاضرة الثانية

المحاضرة الثانية

أبو الطيب المتنبي – ١

Abu Tayeb Al Mutanabi - 1

أبو الطيّب المتنبي (٣٠٣هـ – ٣٥٤هـ) (٩١٥م – ٩٦٥م) هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي أبو الطيب الكندي الكوفي المولد، نسب إلى قبيلة كندة نتيجة لولادته بحي تلك

القبيلة في الكوفة لا لأنه منهم. عاش أفضل أيام حياته وأكثرها عطاء في بلاط سيف الدولة الحمداني في حلب وكان من أعظم شعراء العربية، وأكثرهم تمكناً من اللغة العربية وأعلمهم بقواعدها ومفرداتها، وله مكانة سامية لم تُتح مثلها لغيره من شعراء العربية. فيوصف بأنه نادرة زمانه، وأعجوبة عصره، وظل شعره إلى اليوم مصدر إلهام ووحي للشعراء والأدباء. وهو شاعر حكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي. وتدور معظم قصائده حول مدح الملوك. ولقد قال الشعر صبياً، فنظم أول أشعاره وعمره ٩ سنوات، واشتُهِرَ بحدة الذكاء واجتهاده وظهرت موهبته الشعرية مبكراً.

وكان المتنبي صاحب كبرياء وشجاعة وطموح ومحب للمغامرات، وكان في شعره يعتز بعروبته، ويفتخر بنفسه، وأفضل شعره في الحكمة وفلسفة الحياة ووصف المعارك، إذ جاء بصياغة قوية محكمة. وكان شاعرا مبدعا عملاقا غزير الإنتاج يعد بحق مفخرة للأدب العربي، فهو صاحب الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة. وجد الطريق أمامه أثناء تنقله مهيئاً لموهبته الشعرية الفائقة لدى الأمراء والحكام، إذا تدور معظم قصائده حول مدحهم. لكن شعره لا يقوم على التكلف والصنعة، لتفجر أحاسيسه وامتلاكه ناصية اللغة والبيان، مما أضفى عليه لوناً من الجمال والعذوبة. ترك تراثاً عظيماً من الشعر القوي الواضح، يضم ٣٢٦ قصيدة، تمثل عنواناً لسيرة حياته، صور فيها الحياة في القرن الرابع الهجري أوضح تصوير، ويستدل منها كيف جرت الحكمة على لسانه، لاسيما في قصائده الأخيرة التي بدا فيها وكأنه يودع الدنيا عندما قال: أبلى الهوى بدني.

شهدت الفترة التي نشأ فيها أبو الطيب تفكك الدولة العباسية وتناثر الدويلات الإسلامية التي قامت على أنقاضها. فقد كانت فترة نضج حضاري وتصدع سياسي وتوتر وصراع عاشها العرب والمسلمون. فالخلافة في بغداد انحسرت هيبتها والسلطان الفعلي في أيدي الوزراء وقادة الجيش ومعظمهم من غير العرب. ثم ظهرت الدويلات والإمارات المتصارعة في بلاد الشام، وتعرضت الحدود لغزوات الروم والصراع المستمر على الثغور الإسلامية، ثم ظهرت الحركات الدموية في العراق كحركة القرامطة وهجماتهم على الكوفة. لقد كان لكل وزير ولكل أمير في الكيانات السياسية المتنافسة مجلس يجمع فيه الشعراء والعلماء يتخذ منهم وسيلة دعاية وتفاخر ووسيلة صلة بينه وبين الحكام والمجتمع، فمن انتظم في هذا المجلس أو ذاك من الشعراء أو العلماء يعني اتفق وإياهم على

إكبار هذا الأمير الذي يدير هذا المجلس وذاك الوزير الذي يشرف على ذاك. والشاعر الذي يختلف مع الوزير في بغداد مثلاً يرتحل إلى غيره فإذا كان شاعراً معروفاً استقبله المقصود الجديد، وأكبره لينافس به خصمه أو ليفخر بصوته. في هذا العالم المضطرب كانت نشأة أبي الطيب، وعى بذكائه الفطري وطاقته المتفتحة حقيقة ما يجري حوله، فأخذ بأسباب الثقافة مستغلاً شغفه في القراءة والحفظ، فكان له شأن في مستقبل الأيام أثمر عن عبقرية في الشعر العربي. كان في هذه الفترة يبحث عن شيء يلح عليه في ذهنه، أعلن عنه في شعره تلميحاً وتصريحاً حتى أشفق عليه بعض أصدقائه وحذره من مغبة أمره، حذره أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل في دهوك فلم يستمع له وإنما أجابهً : أبا عبد الإله معاذ أني. إلى أن انتهى به الأمر إلى السجن.

ظل باحثاً عن أرضه وفارسه غير مستقر عند أمير ولا في مدينة حتى حط رحاله في أنطاكية حيث أبو العشائر ابن عم سيف الدولة سنة ٣٣٦ هـ، واتصل بسيف الدولة ابن حمدان، أمير وصاحب حلب، سنة ٣٣٧ هـ وكانا في سن متقاربة، فوفد عليه المتنبي وعرض عليه أن يمدحه بشعره على ألا يقف بين يديه لينشد قصيدته كما كان يفعل الشعراء فأجاز له سيف الدولة أن يفعل هذا وأصبح المتنبي من شعراء بلاط سيف الدولة في حلب، وأجازه سيف الدولة على قصائده بالجوائز الكثيرة وقربه إليه فكان من أخلص خلصائه وكان بينهما مودة واحترام، وخاض معه المعارك ضد الروم، وتعد سيفياته أصفى شعره. غير أن المتنبي حافظ على عادته في إفراد الجزء الأكبر من قصيدته لنفسه وتقديمه إياها على ممدوحه، فكان أن حدثت بينه وبين سيف الدولة فجوة وسعها كارهوه وكانوا كثراً في بلاط سيف الدولة.

ازداد أبو الطيب اندفاعاً وكبرياء واستطاع في حضرة سيف الدولة في حلب أن يلتقط أنفاسه، وظن أنه وصل إلى شاطئه الأخضر، وعاش مكرماً مميزاً عن غيره من الشعراء في حلب. وهو لا يرى إلا أنه نال بعض حقه، ومن حوله يظنون أنه حصل على أكثر من حقه. وظل يحس بالظمأ إلى الحياة، إلى المجد الذي لا يستطيع هو نفسه أن يتصور حدوده، إلا أنه مطمئن إلى إمارة حلب العربية الذي يعيش في ظلها وإلى أمير عربي يشاركه طموحه وإحساسه. وسيف الدولة يحس بطموحه العظيم، وقد ألف هذا الطموح وهذا الكبرياء منذ أن طلب منه أن يلقي شعره قاعداً وكان

الشعراء يلقون أشعارهم واقفين بين يدي الأمير، واحتمل أيضاً هذا التمجيد لنفسه ووضعها أحياناً بصف الممدوح إن لم يرفعها عليه. ولربما احتمل على مضض تصرفاته العفوية، إذ لم يكن يحسن مداراة مجالس الملوك والأمراء، فكانت طبيعته على سجيتها في كثير من الأحيان.

وفي المواقف القليلة التي كان المتنبي مضطرا لمراعاة الجو المحيط به، فقد كان يتطرق إلى مدح آباء سيف الدولة في عدد من القصائد، ومنها السالفة الذكر، لكن ذلك لم يكن إعجابا بالأيام الخوالي وإنما وسيلة للوصول إلى ممدوحه، إذ لا يمكن فصل الفروع عن جذع الشجرة وأصولها كقوله:

من تغلب الغالبين الناس منصبه ومن عدّي أعادي الجبن والبخل

خيبة الأمل وجرح الكبرياء

أحس بأن صديقه بدأ يتغير عليه، وكانت الهمسات تنقل إليه عن سيف الدولة بأنه غير راض عنه، وتنقل إلى سيف الدولة بأشياء لا ترضي الأمير. وبدأت المسافة تتسع بين الشاعر والأمير، ولربما كان هذا الاتساع مصطنعاً إلا أنه اتخذ صورة في ذهن كل منهما. وظهرت منه مواقف حادة مع حاشية الأمير، وأخذت الشكوى تصل إلى سيف الدولة منه حتى بدأ يشعر بأن فردوسه الذي لاح لهُ بريقه عند سيف الدولة لم يحقق السعادة التي نشدها. وأصابته خيبة الأمل لاعتداء ابن خالويه عليه بحضور سيف الدولة حيث رمى دواة الحبر على المتنبي في بلاط سيف الدولة، فلم ينتصف له سيف الدولة، ولم يثأر له الأمير، وأحس بجرح لكرامته، لم يستطع أن يحتمل، فعزم على مغادرته، ولم يستطع أن يجرح كبرياءه بتراجعه، وإنما أراد أن يمضي بعزمه. فكانت مواقف العتاب الصريح والفراق، وكان آخر ما أنشده إياه ميميته في سنة ٣٤٥ هـ ومنها : (لا تطلبن كريماً بعد رؤيته). بعد تسع سنوات ونصف في بلاط سيف الدولة جفاه الأمير وزادت جفوته له بفضل كارهي المتنبي ولأسباب غير معروفة قال البعض أنها تتعلق بحب المتنبي المزعوم لخولة شقيقة سيف الدولة التي رثاها المتنبي في قصيدة ذكر فيها حسن مبسمها، وكان هذا مما لا يليق عند رثاء بنات الملوك، وانكسرت العلاقة الوثيقة التي كانت تربط سيف الدولة بالمتنبي.

فارق أبو الطيب سيف الدولة وهو غير كاره له، وإنما كره الجو الذي ملأه حساده ومنافسوه من حاشية الأمير. فأوغروا قلب الأمير، فجعل الشاعر يحس بأن هوة بينه وبين صديقه يملؤها الحسد والكيد، وجعله يشعر بأنه لو أقام هنا فلربما تعرض للموت أو تعرضت كبرياؤه للضيم، فغادر حلب، وهو يكن لأميرها الحب، لذا كان قد عاتبه وبقي يذكره بالعتاب، ولم يقف منه موقف الساخط المعادي، وبقيت الصلة بينهما بالرسائل التي تبادلاها حين عاد أبو الطيب إلى الكوفة وبعد ترحاله في بلاد عديدة بقي سيف الدولة في خاطر ووجدان المتنبي.

ثم مدح كافوراً الإخشيدي وأبا شجاع، وأقام في مصر ردحاً من الزمن يرقب الفرصة من كافور فيصعد المجد على كاهله، فمما قال فيه:

أبا المِسْكِ هل في الكأسِ فَضْلٌ أنالُه فإنّي أُغَنّي منذُ حينٍ وَتَشرَبُ

وَهَبْتَ على مِقدارِ كَفّيْ زَمَانِنَا وَنَفسِي على مِقدارِ كَفّيكَ تطلُبُ

إذا لم تَنُطْ بي ضَيْعَةً أوْ وِلايَةً فَجُودُكَ يَكسُوني وَشُغْلُكَ يسلبُ

يُضاحِكُ في ذا العِيدِ كُلٌّ حَبيبَهُ حِذائي وَأبكي مَنْ أُحِبّ وَأنْدُبُ

أحِنُّ إلى أهْلي وَأهْوَى لِقَاءَهُمْ وَأينَ مِنَ المُشْتَاقِ عَنقاءُ مُغرِبُ

فإنْ لم يكُنْ إلاّ أبُوالمِسكِ أوْ هُمُ فإنّكَ أحلى في فُؤادي وَأعْذَبُ

وكلُّ امرىءٍ يولي الجَميلَ مُحَبَّبٌ وَكُلُّ مَكانٍ يُنْبِتُ العِزَّ طَيّبُ

يُريدُ بكَ الحُسّادُ ما الله دافِعٌ وَسُمْرُ العَوَالي وَالحَديدُ المُذرَّبُ

وَدونَ الذي يَبْغُونَ ما لوْ تخَلّصُوا إلى المَوْتِ منه عشتَ وَالطّفْلُ أشيبُ

إذا طَلَبوا جَدواكَ أُعطوا وَحُكِّموا وَإن طلَبوا الفضْلَ الذي فيك خُيِّبوا

وَلَوْ جازَ أن يحوُوا عُلاكَ وَهَبْتَهَا وَلكِنْ منَ الأشياءِ ما ليسَ يوهَبُ

وَأظلَمُ أهلِ الظّلمِ مَن باتَ حاسِداً لمَنْ بَاتَ في نَعْمائِهِ يَتَقَلّبُ

وَأنتَ الذي رَبّيْتَ ذا المُلْكِ مُرْضَعاً وَلَيسَ لَهُ أُمٌّ سِواكَ وَلا أبُ

وَكنتَ لَهُ لَيْثَ العَرِينِ لشِبْلِهِ وَمَا لكَ إلاّ الهِنْدُوَانيّ مِخْلَبُ

لَقِيتَ القَنَا عَنْهُ بنَفْسٍ كريمَةٍ إلى الموْتِ في الهَيجا من العارِ تهرُبُ

وَقد يترُكُ النّفسَ التي لا تَهابُهُ وَيَخْتَرِمُ النّفسَ التي تَتَهَيّبُ

وَمَا عَدِمَ اللاقُوكَ بَأساً وَشِدّةً وَلَكِنّ مَنْ لاقَوْا أشَدُّ وَأنجَبُ

ثنَأهم وَبَرْقُ البِيضِ في البَيض صَادقٌ عليهم وَبَرْقُ البَيض في البِيض خُلَّبُ

سَلَلْتَ سُيوفاً عَلّمتْ كلَّ خاطِبٍ على كلّ عُودٍ كيفَ يدعو وَيخطُبُ

وقال:

وهل نافعي أن ترفع الحجب بيننا ودون الذي أملت منك حجاب

وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وجواب

حتى أوجس كافور منه خيفة، لتعاليه في شعرهِ وطموحهِ إلى الملك، فزوى عنه وجهه، فهجاه وقصد بغداد، وكان خروجه من مصر في يوم عيد، وقال يومها قصيدته الشهيرة التي ضمنها ما بنفسه من مرارة على كافور وحاشيته، والتي كان مطلعها:

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد

أما الأحبة فالبيداء دونهم فليت دونك بيدا دونها بيد

وفي القصيدة هجوم شرس على كافور وأهل مصر بما وجد منهم من إهانة لهُ وحط منزلته وطعن في شخصيته، ثم إنه بعد مغادرته لمصر قال قصيدةً يصف بها المنازل التي في طريقه وكيف أنه أقام بقطع القفار والأودية المهجورة التي لم يسلكها أحد، وفي مطلعها يصف ناقته:

ألا كل ماشية الخيزلى فدى كل ماشية الهيذبى

وكل نجاة بجاوية خنوف وما بي حسن المشى

ضربت بها التيه ضرب القما فإما لهذا وإما لذا

إذا فزعت قدمتها الجياد وبيض السيوف وسمر القنا

وفيها يصف المنازل في طريقه:

وجابت بُسيطة جوب الرَّداء بين النَّعَام وبين المها

إلى عُقدة الجوف حتى شَفَت بماء الجُرَاوِيّ بعض الصدا

ولاحَ لها صورٌ والصَّبَاح ولاحَ الشَّغور لها والضَّحَا

وهي قصيدة يميل فيها المتنبي إلى حد ما إلى الغرابة في الألفاظ ولعله يرمي بها إلى مساواتها بطريقه. وذكر في قصائده بعض المدن والمواضع الواقعة ضمن الحدود الإدارية لدُومة الجندل، والتي منها:

حَتّامَ نحنُ نُساري النّجمَ في الظُّلَمِ ومَا سُرَاهُ على خُفٍّ وَلا قَدَمِ

وَلا يُحِسّ بأجْفانٍ يُحِسّ بهَا فقْدَ الرّقادِ غَريبٌ باتَ لم يَنَمِ

تُسَوِّدُ الشّمسُ منّا بيضَ أوْجُهِنَا ولا تُسَوِّدُ بِيضَ العُذرِ وَاللِّمَمِ

وَكانَ حالهُمَا في الحُكْمِ وَاحِدَةً لوِ احتَكَمْنَا منَ الدّنْيا إلى حكَمِ

وَنَتْرُكُ المَاءَ لا يَنْفَكّ من سَفَرٍ ما سارَ في الغَيمِ منهُ سارَ في الأدَمِ

لا أُبْغِضُ العِيسَ لكِني وَقَيْتُ بهَا قلبي من الحزْنِ أوْ جسمي من السّقمِ

طَرَدتُ من مصرَ أيديهَا بأرْجُلِهَا حتى مَرَقْنَ بهَا من جَوْشَ وَالعَلَمِ

تَبرِي لَهُنّ نَعَامُ الدّوّ مُسْرَجَةً تعارِضُ الجُدُلَ المُرْخاةَ باللُّجُمِ

ولمّا وصل إلى بسيطة، رأى بعض غلمانه ثورًا فقال : هذه منارة الجامع ورأى آخر نعامة برية فقال: هذه نخلة، فضحك أبو الطيب وقال:

بُسيطة مهلاً سُقيت القطارا تركت عيون عبيدي حيارا

فظنوا النعام عليك النخيل وظنوا الصوار عليك المنارا

فأمسك صحبي بأكوارهم وقد قصد الضحك فيهم وجارا

ومما قاله في مصر ولم ينشدها الأسود ولم يذكره فيها، وفيها يشكو معاناته من الزمن:

صَحِبَ النّاسُ قبلَنا ذا الزمانا وعَناهُم من شأنِه ما عنانا

وتولّوا بغصّةٍ كلّهم منْه وإن سرّ بعضَهم أحيانا

رُبما تُحسِنُ الصّنيع لَيَالِيـ ـهِ ولكِن تكدّرُ الإحْسَانا

وكأنّا لم يرض فينا بريب الـ دّهر حتى اعانَه من اعانا

كلّما انبتَ الزمان قناةً ركّبَ المرءُ في القناةِ سِنَانا

ومرادُ النفوسِ اصغر من أن نتعادى فيه وأن نتفانى

غيرَ أنّ الفتى يلاقي المنـايا كالـحاتٍ ولا يلاقي الهوانا

ولو أنّ الحياةَ تبقى لحي لـعددنا أضـلّنا الشجعانا

وإذا لم يكن من الموتِ بدٌّ فمن العجزِ أن تكون جبانا

كل مالم يكن من الصعب في الأنـ ـفس سهل فيها إذا هو كانا

لم يكن سيف الدولة وكافور هما من اللذان مدحهما المتنبي فقط، فقد قصد أمراء بلاد الشام والعراق وفارس. وبعد عودته إلى الكوفة، زار بلاد فارس، فمر بأرجان، ومدح فيها ابن العميد، وكانت لهُ معه مساجلات، ومدح عضد الدولة ابن بويه الديلمي في شيراز وذلك بعد فراره من مصر إلى الكوفة ليلة عيد النحر سنة ٣٥٠هـ.

المحاضرة الثالثة

أبو الطيب المتنبي – ٢

Abu Tayeb Al Mutanabi - 2

المحاضرة الثالثة

أبو الطيب المتنبي – ٢

Abu Tayeb Al Mutanabi - 2

شعره وخصائصه الفنية

شعر المتنبي كان صورة صادقة لعصره، وحياته، فهو يحدث عما كان في عصره من ثورات واضطرابات، ويدل على ما كان به من مذاهب وآراء، ونضج العلم والفلسفة. كما يمثل شعره حياته المضطربة: فذكر فيه طموحه وعلمه، وعقله وشجاعته، وسخطه ورضاه، وحرصه على المال، كما تجلت القوة في معانيه وأخيلته، وألفاظه وعباراته. وقد تميز خياله بالقوة والخصابة فكانت ألفاظه جزلة، وعباراته رصينة تلائم قوة روحه، وقوة معانيه، وخصب أخيلته، وهو ينطلق في عباراته انطلاقاً ولا يعنى فيها كثيراً بالمحسنات والصناعة. ويقول الشاعر العراقي فالح الحجية في كتابه في الأدب والفن أن المتنبي يعتبر وبحق شاعر العرب الأكبر عبر العصور.

أغراضه الشعرية

المدح الإخشيدي، وقصائده في سيف الدولة تبلغ ثلث شعره أو أكثر، وقد استكبر عن مدح كثير من الولاة والقادة حتى في حداثته. ومن قصائده في مدح سيف الدولة:

وقفت وما في الموت شكٌّ لواقف كأنك في جفن الرَّدى وهو نائم

تمر بك الأبطال كَلْمَى هزيمـةً ووجهك وضاحٌ، وثغرُكَ باسم

تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى إلى قول قومٍ أنت بالغيب عالم

و كان مطلع القصيدة:

عَلَى قَدرِ أَهلِ العَزمِ تَأتِي العَزائِمُ وتَأتِي عَلَى قَدرِ الكِرامِ المَكارِم

وتَعظُم في عَينِ الصّغِيرِ صِغارُها وتَصغُر في عَينِ العَظِيمِ العَظائِمُ

الوصف

أجاد المتنبي وصف المعارك والحروب البارزة التي دارت في عصره وخاصة في حضرة وبلاط سيف الدولة، فكان شعره يعتبر سجلاً تاريخياً. كما أنه وصف الطبيعة وأخلاق الناس ونوازعهم النفسية، كما صور نفسه وطموحه. وقد قال يصف شِعب بوَّان، وهو منتزه بالقرب من شيراز :

مَغَاني الشِّعْبِ طِيباً في المَغَاني بمَنْزِلَةِ الرّبيعِ منَ الزّمَانِ
وَلَكِنّ الفَتى العَرَبيّ فِيهَا غَرِيبُ الوَجْهِ وَاليَدِ وَاللّسَانِ
مَلاعِبُ جِنّةٍ لَوْ سَارَ فِيهَا سُلَيْمَانٌ لَسَارَ بتَرْجُمَانِ
طَبَتْ فُرْسَانَنَا وَالخَيلَ حتى خَشِيتُ وَإنْ كَرُمنَ من الحِرَانِ
غَدَوْنَا تَنْفُضُ الأغْصَانُ فيهَا على أعْرافِهَا مِثْلَ الجُمَانِ
فسِرْتُ وَقَدْ حَجَبنَ الحَرّ عني وَجِئْنَ منَ الضّيَاءِ بمَا كَفَاني
وَألْقَى الشّرْقُ مِنْهَا في ثِيَابي دَنَانِيراً تَفِرّ مِنَ البَنَانِ
لها ثمر تشير إليك منه بأَشربةٍ وقفن بلا أوان
وأمواهٌ يصِلُّ بها حصاها صليل الحَلى في أيدي الغواني
إذا غنى الحمام الوُرْقُ فيها أجابته أغانيُّ القيان

وقال يعاتب سيف الدولة ويفخر بنفسه وشعره:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي و أسمعت كلماتي من به صمم
أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم
و جاهل مده في جهله ضحكي حتى أتته يد فراسة وفم
إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث يبتسم

و مهجة مهجتي من هم صاحبها أدركته بجواد ظهره حرم

رجلاه في الركض رجل واليدان يد وفعله ماتريد الكف والقدم

ومرهف سرت بين الجحفلين به حتى ضربت وموج الموت يلتطم

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

الهجاء

لم يكثر الشاعر من الهجاء. وكان في هجائه يأتي بحكم يجعلها قواعد عامة، تخضع لمبدأ أو خلق، وكثيراً ما يلجأ إلى التهكم، أو استعمال ألقاب تحمل في موسيقاها معناها، وتشيع حولها جو السخرية بمجرد اللفظ بها، كما أن السخط يدفعه إلى الهجاء اللاذع في بعض الأحيان. وقال يهجو طائفة من الشعراء الذين كانوا ينفون عليه مكانته:

أفي كل يوم تحت ضِبني شُوَيْعرٌ ضعيف يقاويني، قصير يطاول

لساني بنطقي صامت عنه عادل وقلبي بصمتي ضاحكٌ منه هازل

وأَتْعَبُ مَن ناداك من لا تُجيبه وأَغيظُ مَن عاداك مَن لا تُشاكل

وما التِّيهُ طِبِّى فيهم، غير أنني بغيضٌ إِلىَّ الجاهل المتعاقِل

ومن قوله في هجاء كافور:

من أية الطرق يأتي مثلك الكرم أين المحاجم ياكافور والجلم

جازا الأولى ملكت كفاك قدرهم فعرفوا بك أن الكلب فوقهم

سادات كل أناس من نفوسهم وسادة المسلمين الأعبد القزم

أغاية الدين أن تحفوا شواربكم يا أمة ضحكت من جهلها الأمم

ألا فتى يورد الهندي هامته كيما تزول شكوك الناس والتهم

فإنه حجة يؤذي القلوب بها من دينه الدهر والتعطيل والقدم

ما أقدر الله أن يخزي خليقته ولا يصدق قوما في الذي زعموا

بيد أن أبرز ما أتى به المتنبي على مستوى الهجاء كان القصيدة الشهيرة التي كتبها بعد فراره من مصر حيث استبقاه كافور الإخشيدي فيها قسرًا. وتعتبر قصيدة هجاء كافور من أكثر قصائد الهجاء قسوة. ومما جاء فيها:

يا ساقيي أخمر في كؤوسكما أم في كؤوسكما هم وتسهيد

أصخرة أنا مالي لا تحركني هذي المدام ولا هذي الأغاريد

إذا أردت كميت اللون صافية وجدتها وحبيب النفس مفقود

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبه أني بما أنا شاكٍ منه محسود

إني نزلت بكذابين ضيفهم عن القرى وعن الترحال محدود

جود الرجال من الأيدي وجودهم من اللسان فلا كانوا ولا الجود

ما يقبض الموت نفسا من نفوسهم إلا وفي يده من نتنها عود

أكلما اغتال عبد السوء سيده أو خانه فله في مصر تمهيد

صار الخصي إمام الآبقين بها فالحر مستعبد والعبد معبود

نامت نواطير مصر عن ثعالبها فقد بشمن وما تفنى العناقيد

العبد ليس لحر صالح بأخ لو أنه في ثياب الحر مولود

لا تشتر العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاس مناكيد

ما كنت أحسبني أحيا الى زمن يسيء بي فيه عبد وهو محمود

ولا توهمت أن الناس قد فقدوا وأن مثل أبي البيضاء موجود

وأن ذا الأسود المثقوب مشفره تطيعه ذي العضاريط الرعاديد

جوعان يأكل من زادي ويمسكني لكي يقال عظيم القدر مقصود

وَيْلُمِّها خُطّةً ويْلُمِّ قابِلِها لمثْلها خلق المهْرِيّةُ القود

وَعِنْدها لذّ طعْم الموْت شاربه إنّ المنيّة عنْد الذّلّ قنْديد

من علم الأسود المخصيَّ مكرمـة أقومه البيـض أم آباؤه الصيـد

أم أذنه فـي يـد النخـاس داميـة أم قدره وهـو بالفلسيـن مـردود

أولى اللئام كويفيرٌ بمعذرة في كل لؤم، وبعض العذر تفنيد

وذاك أن الفحول البيض عاجزة عن الجميل، فكيف الخصية السود؟؟

كما ينسب له هذا البيت في وصف أكثر أهل الأرض في الذل.

وأوغلُ أهل الأرضُ في الذلِ أمةٌ تضامُ ومنها لمن ضام جندُ

الحكمة

اشتهر المتنبي بالحكمة وذهب كثير من أقواله مجرى الأمثال لأنه يتصل بالنفس الإنسانية، ويردد نوازعها وآلامها. ومن حكمه ونظراته في الحياة:

إذا غامَرْتَ في شَرَفٍ مَرُومِ فَلا تَقنَعْ بما دونَ النّجومِ

فطَعْمُ المَوْتِ في أمْرٍ حَقِيرٍ كطَعْمِ المَوْتِ في أمْرٍ عَظيمِ

يرَى الجُبَناءُ أنّ العَجزَ عَقْلٌ وتِلكَ خَديعَةُ الطّبعِ اللّئيمِ

وكمْ من عائِبٍ قوْلاً صَحيحاً وآفَتُهُ مِنَ الفَهْمِ السّقيمِ

ولكِنْ تأخُذُ الآذانُ مِنْهُ على قَدَرِ القَرائحِ والعُلُومِ

كذلك يقول:

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

والهجر أقتل لي مما اراقبه أنا الغريق فما خوفي من البلل

مقتله

كان المتنبي قد هجا ضبة بن يزيد الأسدي العيني بقصيدة شديدة الهجاء شنيعة الألفاظ و تحتوي على الكثير من الطعن في الشرف مطلعها:

مَا أنصَفَ القَومُ ضبّه وَأمهُ الطرْطبّه

وإنّما قلتُ ما قُلـ ـتُ رَحمَة لا مَحَبه

فلما كان المتنبي عائدًا إلى الكوفة، وكان في جماعة منهم ابنه محمد وغلامه مفلح، لقيه فاتك بن أبي جهل الأسدي، وهو خال ضبّة بن يزيد العوني الذي هجاه المتنبي، وكان في جماعة أيضًا. فتقاتل الفريقان وقُتل المتنبي وابنه محمد وغلامه مفلح بالنعمانية بالقرب من دير العاقول غربيّ بغداد.

قصة قتله أنه لما ظفر به فاتك أراد الهرب فقال له غلامه : أتهرب وأنت القائل :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فرد عليه بقوله: قتلتني قتلك الله.

المحاضرة الرابعة

أبو فراس الحمداني

Abu Firas Al-Hamdani

المحاضرة الرابعة

أبو فراس الحمداني

Abu Firas Al-Hamdani

أبو فراس الحمداني هو أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان الحمداني التغلبي الرَّبَعي،(٣٢٠ – ٣٥٧ هـ / ٩٣٢ – ٩٦٨ م). هو شاعر وقائد عسكري حمداني، وهو ابن عم سيف الدولة الحمداني أمير الدولة الحمدانية التي شملت أجزاء من شمالي سوريا والعراق وكانت عاصمتها حلب في القرن العاشر للميلاد. عاصر المتنبي وأسِر في إحدى المعارك مع الروم.

حياته

كان ظهور الحمدانيين في فترة ضعف العنصر العربي في جسم الخلافة العباسية وهزيمة الفرس والترك. فباشر الحمدانيون الحروب لدعم حكمهم وترسيخ سلطتهم، فاحتل عبد الله، والد سيف الدولة الحمداني وعم شاعرنا، بلاد الموصل وبسط سلطة بني حمدان على شمال سوريا بما فيها عاصمة الشمال حلب وما حولها وتملك سيف الدولة حمص ثم حلب حيث أنشأ بلاطاً جمع فيه الكتاب والشعراء واللغويين في دولة عاصمتها حلب.

ترعرع أبو فراس في كنف ابن عمه سيف الدولة في حلب، بعد موت والده باكراً، فشب فارساً شاعراً، وراح يدافع عن إمارة ابن عمه ضد هجمات الروم ويحارب الدمستق قائدهم. وفي أوقات السلم كان يشارك في مجالس الأدب فيذاكر الشعراء وينافسهم، ثم ولاه سيف الدولة مقاطعة منبج فأحسن حكمها والذود عنها.

أبو فراس في الأسر

كانت المواجهات والحروب كثيرة بين الحمدانيين والروم في أيام أبي فراس، وفي إحدى المعارك خانه الحظ يوماً فوقع أسيراً سنة ٣٤٧ هـ (٩٥٩م) في مكانٍ يُعرف باسم "مغارة الكحل". فحمله الروم إلى منطقة تسمى خَرْشَنة على الفرات، وكان فيها للروم حصنٌ منيع، ولم يمكث في الأسر طويلاً، واختُلف في كيفية نجاته، فمنهم من قال إن سيف الدولة افتداه ومنهم من قال إنه استطاع الهرب. فابن خلكان يروي أن الشاعر ركب جواده وأهوى به من أعلى الحصن إلى الفرات، والأرجح أنه أمضى في الأسر بين ثلاث وأربع سنوات.

انتصر الحمدانيون أكثر من مرة في معارك كرٍ وفرٍ، وبعد توقف لفترة من الزمن عاد القتال بينهم (بين الحمدانين وبين الروم) الذين أعدوا جيشاً كبيراً وحاصروا أبا فراس في منبج وبعد مواجهات وجولات كر وفر سقطت قلعته سنة ٣٥٠ هـ (٩٦٢م) ووقع أسيراً وحُمل إلى القسطنطينية حيث أقام بين ثلاث وأربع سنوات، وقد وجه الشاعر جملة رسائل إلى ابن عمه في حلب، فيها يتذمر من طول الأسر وقسوته، ويلومه على المماطلة في افتدائه.

ويبدو أن إمارة حلب كانت في تلك الحقبة تمر بمرحلةٍ صعبة لفترة مؤقتة فقد قويت شوكة الروم وتقدم جيشهم الضخم بقيادة نقفور فاكتسح الإمارة واقتحم عاصمتها حلب، فتراجع سيف الدولة إلى ميافارقين، وأعاد سيف الدولة قوته ترتيب وتجهيز وهاجم الروم في سنة ٣٥٤ هـ (٩٦٦م) وهزمهم وانتصر عليهم واستعاد إمارته وملكه في حلب، وأسر أعدادا يسيرة من الروم وأسرع إلى افتداء أسراه ومنهم ابن عمه أبو فراس الحمداني بعد انتصاره على الروم، ولم يكن أبو فراسٍ يتبلغ أخبار ابن عمه، فكان يتذمر من نسيانه له، ويشكو الدهر ويرسل القصائد المليئة بمشاعر الألم والحنين إلى الوطن، فتتلقاها أمه باللوعة حتى توفيت قبل عودة وحيدها.

تحريره من الأسر

تم افتداء وتحرير أبي فراس وبعد مضي سنةٍ على خروجه من الأسر، توفي سيف الدولة ٣٥٥ هـ (٩٦٧م) وكان لسيف الدولة مولى اسمه قرغويه طمع في التسلط، فنادى بابن سيده أبي المعالي، أميراً على حلب آملاً أن يبسط يده باسم أميره على الإمارة بأسرها، وأبو المعالي هو ابن أخت أبي فراس. أدرك أبو فراسٍ نوايا قرغويه فدخل مدينة حمص، فأوفد أبو المعالي الجويني جيشاً بقيادة قرغويه، فدارت معركةٌ قُتل فيها أبو فراس. وكان ذلك في ربيع الأول سنة ٣٥٧ هـ (٩٦٨م) في بلدة صدد جنوب شرق حمص.

أشعاره

قال الصاحب بن عباد: بُدئ الشعر بملك، وخُتم بملك، ويعني امرؤ القيس وأبو فراس.

لم يجمع أبو فراس شعره وقصائده، إلا أن ابن خالوية وقد عاصره جمع قصائده فيما بعد، ثم اهتم [وضح من هو المقصود ؟] بجمع الروميات من شعره في يتيمته، وقد طبع ديوانه في بيروت سنة

١٨٧٣م، ثم في مطبعة قلفاط سنة ١٩٠٠م، وتعتمد الطبعتان على ما جمعه ابن خالويه. وقد نقل وترجم بعض شعر أبو فراس إلى اللغة الألمانية على يد المستشرق بن الورد، وأول طبعةٍ للديوان كاملاً كانت للمعهد الفرنسي بدمشق سنة ١٩٤٤م ويؤكد الشاعرالعراقي فالح الحجية في كتابه في الأدب والفن يكاد يتفق النقاد أن أجمل قصيدة للشاعر هي قصيدة أراك عصي الدمع التي أخذت مكانها في الشهرة بين قصائد الغزل العربية.

يقول:

لم أعدُ فيه مفاخري ومديح آبائي النُّجُبْ

لا في المديح ولا الهجاءِ ولا المجونِ ولا اللعبْ

هو صاحب البيت الشهير:

الشعر ديوان العرب أبداً وعنوان الأدب

وصى أن يكتب على قبره الأبيات الآتية:

أبنيتي، لا تحزني كل الأنام إلى ذهاب

أبنيتي، صبراً جميـ ـلاً للجَليلِ مِنَ المُصَاب!

نُوحِي عَلَيّ بِحَسْرَةٍ ! من خَلفِ سترِك وَالحجابِ

قُولي إذَا نَادَيْتِني، وعييتِ عنْ ردِّ الجوابِ:

زينُ الشبابِ، "أبو فرا سٍ، لمْ يُمَتَّعْ بِالشّبَابِ!

المحاضرة الخامسة

الشريف الرضي

المحاضرة الخامسة

الشريف الرضي

Sharif Al-Radhi

أبو الحسن، السيد محمد بن الحسين بن موسى، ويلقب بالشريف الرضي (٣٥٩ هـ – ٤٠٦ هـ / ٩٦٩ – ١٠١٥م) هو الرضي العلوي الحسيني الموسوي. شاعر وفقيه ولد في بغداد وتوفي فيها. عمل نقيباً للطالبيين حتى وفاته.

نسبه

الشريف الرضي ذو الحسبين أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

والده أبو أحمد كان عظيم المنزلة في الدولتين العباسية والبويهية لقبه أبو نصر بهاء الدين بالطاهر الأوحد، وولي نقابة الطالبيين خمس مرات، ومات وهو النقيب وذهب بصره، ولولا استعظام عضد الدولة أمره ما حمله على القبض عليه وحمله إلى قلعة بفارس، فلم يزل بها حتى مات عضد الدولة فأطلقه شرف الدولة ابن العضد واستصحبه حين قدم بغداد، وله في خدمة الملة والمذهب خطوات بعيدة، ومساعي مشكورة، وقدم وقدم، ولد سنة ٣٥٩ وتوفي ليلة السبت ٢٥ جمادى الأولى سنة ٤٠٦ ورثته الشعراء بمراث كثيرة، وممن رثاه ولداه المرتضى والرضي ومهيار الديلمي ورثاه أبو العلاء المعري بقصيدة توجد في كتابه سقط الزند.

الشريف الرضي هو مفخرة من مفاخر العترة الطاهرة، وإمام من أئمة العلم والحديث والأدب، وبطل من أبطال الدين والعلم والمذهب، هو أول في كل ما ورثه سلفه الطاهر من علم متدفق، ونفسيات زاكية، وأنظار ثاقبة.

وإباء وشمم، وأدب بارع، وحسب نقي، ونسب نبوي، وشرف علوي، ومجد فاطمي، وسودد كاظمي، إلى فضائل قد تدفق سيلها الأتي، ومئانر قد التطمت أواذيها الجارفة، ومهما تشدق الكاتب فإن في البيان قصورا عن بلوغ مداه، درس هو وأخوه الشريف المرتضى على يد الشيخ المفيد أحد فقهاء المعروفين القدامى.

أعماله وشعره

من أهم الأعمال التي اشتهر بها الشريف الرضي هو نهج البلاغة وهو كتاب جمع فيه خطب والحكم القصار وكتب الإمام علي لعماله في شتى أنحاء الأرض. له ديوان تغلب فيه القوة والعذوبة والنفس البدوي والجزالة وله كتب عدة منها «مجاز القرآن» و«المجازات النبوية» و«خصائص أمير المؤمنين الإمام علي » و«مختار من شعر الصابئ» وبعض الرسائل منشورة.

ويعد الشريف الرضي من فحول الشعراء وله شعر كثير في الغزل العذري والاجتماعيات، من مثال شعره:

رماني كالعدو يريد قتلي فغالطني وقال أنا الحبيب

وأنكرني فعرفني إليه لظى الأنفاس والنظر المريب

وقالوا لم أطعت وكيف أعصي أميراً من رعيته القلوبُ

أقوال العلماء فيه

قال ابن ابي الحديد: (و حفظ الرضي القرآن بعد أن تجاوز الثلاثين سنة في مدة يسيرة، وعَرف من الفقه والفرائض طرفا قويا، وكان عالماً أديباً وشاعراً).

و قال الأمين العاملي:(كان الرضي أديباً بارعاً متميزاً، فقيهاً متبحراً، ومتكلماً حاذقاً، ومفسراً...).

وقال التستري: قال صاحب تاريخ مصر والقاهرة: (الشريف أبو الحسن الرضي الموسوي، كان عالماً عارفاً باللغة الفرائض والفقه والنحو، وكان شاعراً فصيحاً عالماً عالى الهمة...).

المحاضرة السادسة

أبو العلاء المعري – ١

Abu Al-Ala Al-Maari - 1

المحاضرة السادسة

أبو العلاء المعري – ١

Abu Al-Ala Al-Maari - 1

أبو العلاء المعري (٣٦٣ هـ – ٤٤٩ هـ) (٩٧٣ –١٠٥٧م) هو أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاعي التنوخي المعري، شاعر وفيلسوف ولغوي وأديب عربي من عصر الدولة العباسية، ولد وتوفي في معرة النعمان في محافظة إدلب وإليها يُنسب. لُقب برهين المحبسين أي محبس العمى ومحبس البيت وذلك لأنه قد اعتزل الناس بعد عودته من بغداد حتى وفاته.

حياته

ولد المعري في معرة النعمان (في سوريا حالياً، ينتمي لعائلة بني سليمان، والتي بدورها تنتمي لقبيلة تنوخ، جده الأعظم كان أول قاضٍ في المدينة، وقد عرف بعض أعضاء عائلة بني سليمان بالشعر، فقد بصره في الرابعة من العمر نتيجة لمرض الجدري.. بدأ يقرأ الشّعرَ في سن مبكرة حوالي الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمره في بلدته معرة النعمان، ثم ذهب للدراسة في حلب وأنطاكية[؟] ، وغيرها من المدن السورية. فدرس علوم اللغة والأدب والحديث والتفسير والفقه والشعر على نفر من أهله، وفيهم القضاة والفقهاء والشعراء، وقرأ النحو في حلب على أصحاب ابن خالويه، وبدل شعره

ونثره على أنه كان عالماً بالأديان والمذاهب وفي عقائد الفرق، وكان آية في معرفة التاريخ والأخبار. وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة. أخذ المعري النحو وشعر المتنبي عن محمد بن عبد الله بن سعد النحوي. وهو أحد رواة شعر المتنبي.

وزاول مهنة الشاعر والفيلسوف والمفكر الحر. حيث سافر المعري إلى وسط بغداد لفترة، حيث جمع عدداً كبيراً من التلاميذ الذكور والإناث للاستماع إلى محاضراته عن الشعر والنحو والعقلانية. وإحدى الموضوعات المتكررة في فلسفته كانت حقوق العقل (المنطق) ضد ادعاءات العادات والتقاليد والسلطة.

كان على جانب عظيم من الذكاء والفهم وحدة الذهن والحفظ وتوقد الخاطر، وسافر في أواخر سنة ٣٩٨ هـ ١٠٠٧م إلى بغداد فزار دور كتبها وقابل علماءها. وعاد إلى معرة النعمان سنة ٤٠٠ هـ ١٠٠٩م، وشرع في التأليف والتصنيف ملازماً بيته، وكان اسم كاتبه علي بن عبد الله بن أبي هاشم.

وقد كان عزم على اعتزاله الناسَ وهو في بغداد، خصوصاً بعد أن ورد إليه خبر وفاة والده، وقدد عزز فكرة ذهابه عن بغداد أنه رأى تنافس العلماء والرؤساء على الجاه، وتيقن "أن الدنيا كما هي مفطورة على الشرور والدواهي" وقال ذات مرة "وأنا وحشي الغريزة، أنسي الولادة"

وكتب إلى خاله أبي القاسم قبل قبيل منصرفه من بغداد "ولما فاتتني المقام بحيث اخترتُ، أجمعت على انفراد يجلعني كالظبي في الكناس، ويقطع ما بيني وبين الناس إلا من وصلني الله به وصل الذراع باليد، والليلة بالغد" وقال بعد اعتزاله بفترة طويلة "لزمت مسكني منذ سنة أربعمائة، واجتهدت على أن أُتوفى على تسبيح الله وتحميده"

عاش المعري بعد اعتزاله زاهداً في الدنيا، معرضاً عن لذاتها، لا يأكل لحم الحيوان حتى قيل أنه لم يأكل اللحم ٤٥ سنة، ولا ما ينتجه من سمن ولبن أو بيض وعسل، ولا يلبس من الثياب إلا الخشن. حتى توفي عن عمر يناهز ٨٦ عاماً، ودفن في منزله بمعرة النعمان.

وقد جمعت أخباره مما كتبه المؤرخون وأصحاب السير في كتاب بإشراف الدكتور طه حسين بعنوان "تعريف القدماء بأبي العلاء".

آراؤه في الدين

تعددت الآراء حول آراء المعري في الدين وهناك خلاف في هذه المسألة

الرأي الأول

هناك رأي يقول بأن المعري من المشككين في معتقداته، وندد بالخرافات في الأديان. وبالتالي فقد وصف بأنه مفكر متشائم، وقد يكون أفضل وصف له هو كونه يؤمن بالربوبية. حيث كان يؤمن بأن الدين "خرافة ابتدعها القدماء" لا قيمة لها إلا لأولئك الذين يستغلون السذج من الجماهير. وخلال حياة المعري ظهر الكثير من الخلفاء في مصر وبغداد وحلب الذين كانوا يستغلون الدين كأداة لتبرير وتدعيم سلطتهم. وقد رفض المعري بعض معتقدات الإسلام وغيره من الأديان الأخرى مصرحاً:

«أفيقوا أفيقوا يا غواة فإنما دياناتكم مكرٌ من القدماء

فلا تحسب مقال الرسل حقاً ولكن قول زور سطّروه

وكان الناس في يمنٍ رغيدٍ فجاءوا بالمحال فكدروه

دين وكفر وأنباء تقص وفرقان وتوراة وإنجيل»

يرى بعض الباحثين[من؟] أن المعري قد انتقد العديد من عقائد الإسلام، مثل الحج، الذي وصفه بأنه "رحلة الوثني". كما ينقل أن المعري قد أعرب عن اعتقاده بأن طقوس تقبيل الحجر الأسود في مكة المكرمة من خرافات الأديان.

وهذه إحدى أبياته:

هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدت ويهود حارت والمجوس مضلله

اثنان أهل الأرض ذو عقل بلا دين وآخر ديّن لا عقل له..

كما يزعم بعض المستشرقين أن المعري رفض مزاعم "الوحي الإلهي". عقيدته كانت عقيدة الفيلسوف والزاهد، الذي يتخذ العقل دليلاً أخلاقياً له، والفضيلة هي مكافأته الوحيدة.

وذهب في فلسفته التشاؤمية إلى الحد الذي وصى فيه بعدم إنجاب الأطفال كي نجنبهم آلام الحياة. وفي مرثاة ألفها عقب فقده لقريب له جمع حزنه على قريبه مع تأملاته عن سرعة الزوال، قال:

« خفف الوطء ماأظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد.»

الرأي الأخر

يقول الباحث نرجس توحيدي فر عن عقيدة أبي العلاء:

«: يعتقد أبو العلاء في الله تعالى. ما يعتقده المؤمنون المخلفون من المسلمين، ويثبت له من صفات الكمال ما يثبتون له، وينفي عنه من صفات الحدوث والنقص ما ينفون. وإذا استقريت أقواله في هذا الغرض لا ترى فرقاً بينه وبين أعظم المسلمين في الاعتقاد»

.

وتقول بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن عن أبي العلاء:

«: وشاعت كلمت السوء فيه، ومن شأنها أن تشيع فجُرِّح ببعض ما قال مما قد يوهم ظاهره ويشكل، وبغيره مما لم يقل. وإن أكثر مصنفاته لفي الزهد والعظات وتمجيد الله سبحانه وتعالى. وديوان (اللزوم) نفسه مليء بنجوى إيمانه الصادق، وأناشيد ضراعته للخالق، جل جلاله ...وشهد له الذين عرفوه عن قرب، بنقاء العقيدة ورسوخ الإيمان. وفيهم من كان قد استراب في أمره، تأثرا بشائعات السوء، ثم بان له من حقيقته ما جعله يشهد له بصحة الدين وقوة اليقين.»

.

ويقول الدكتور طه حسين إن:

«: أبا العلاء قد هداه عقله إلى أن لهذا العالم خالقاً، وإلى أن هذا الخالق حكيم. لا يشك في ذلك، أو على الأقل لا يظهر فيه شكاً... وهو إذا تحدث عن هذا الخالق الحكيم تحدث عنه في لهجة صادق يظهر فيها الإخلاص واضحاً جلياً. ولكنه عاجز عن فهم هذه الحكمة التي يمتاز بها هذا الخالق الحكيم. وعجزه عن فهم هذه الحكمة هو الذي يضنيه ويعنِّيه ويعذبه في نفسه أشد العذاب. خالق حكيم، خلق هذا العالم ورتبه على هذا النحو الذي رتبه عليه. ولكن لماذا، وما بال هذا الخالق الحكيم الذي منحنا هذا العقل وهدانا إلى التفكير لم يكشف لنا القناع كله أو بعضه عن وجه هذه الحكمة التي لا نشك فيها ولا نرتاب؟»

.

وكان المعري يؤمن بالله كإله خالق، قال أبو العلاء:

«الله لا ريبَ فيه، وهو محتجبٌ بادٍ، وكلٌّ إلى طَبعٍ له جذبا... أُثبتُ لي خالقاً حكيماً، ولستُ من معشرٍ نفاة... إذا كُنتَ من فرط السّفاه معطِّلاً، فيا جاحدُ اشهَدْ أنني غيرُ جاحِدِ... أدينَ بربٍّ واحدٍ وتَجَنُّبٍ قبيحَ المساعي، حينَ يُظلَمُ دائنُ... إذا قومُنا لم يعبدوا الله وحدهُ بنُصْحٍ، فإنَّا منهمُ بُرآءُ»

ويقول شوقي ضيف:

«وواضح أنه لا يهاجم الديانات نفسها وإنما يهاجم أصحابها، وفَرْق بين أن يهاجم الإسلام والمسيحية واليهودية، وبين أن يهاجم المسلمين والنصارى واليهود وأن يثبت عليهم في عصره نقص عقولهم، فقد اختلف أصحاب كل دين، وتوزعوا فرقًا كبيرة، ويكفي أن نعرف أن المذهب الإسماعيلي الفاطمي كان يسيطر في عصره على مصر والشام مع في أصوله وفروعه من انحراف، وقد هاجمه وهاجم الفرق الشيعية في اللزوميات ورسالة الغفران، كما هاجم كثيرًا من الفرق الأخرى، مثل النصيرية القائلين بالتناسخ والصوفية القائلين بالحلول، فإذا هتف بأن من يتبعون أمثال هذه المذاهب لا عقول لهم لم يكن معنى ذلك أنه يهاجم الاسلام، إنما يهاجم المسلمين بعصره، وبالمثل النصارى واليهود.»

وفاته

كانت علته ثلاثة أيام، ومات في أوائل شهر ربيع الأول من سنة تسع وأربعين وأربعمائة وعاش ستا وثمانين سنة واتفق ياقوت والقفطيُّ والذهبيُّ والصفديَّ وابن خلكان، على أن أبا العلاء لما مات أنشد رثاءه على قبره شعراء، لا يقل عددهم عن سبعين شاعرا، منهم تلميذه أبو الحسن علي بن همام الذي قال فيه من قصيدة:

إن كنت لم ترق الدماء زهادة

فلقد أرقت اليوم من جفني دما

سيرت ذكرك في البلاد كأنه

مسك فسامعة يضمخ أو فما

وأرى الحجيج إذا أرادوا ليلة

ذكراك أخرج فدية من أحرما"

المحاضرة السابعة

ابو العلاء المعري ـ ٢

المحاضرة السابعة

ابو العلاء المعري ـ ٢

انتقادات

وردت بعض من أقوال العلماء المسلمين في ذم المعري، الذين نسبوه إلى الزندقة، كابن كثير، وابن قيم الجوزية وأبو الفرج بن الجوزي، الذي قال فيه:

«زَنَادقَةُ الإِسْلاَمِ ثَلاَثَةٌ : ابْنُ الرَّاوَنْدِي ، وَأَبُو حَيَّانَ التَّوْحِيْدِيُّ ، وَأَبُو العَلاَءِ المَعَرِيُّ ، وَأَشدُّهُم عَلَى الإِسْلاَم أَبُو حَيَّانَ ، لأَنَّهُمَا صَرَّحَا ، وَهُوَ مَجْمَجَ وَلَمْ يُصرِّح.»

ويصفه الذهبي: بـ"الشيخ العلامة، شيخ الآداب أبو العلاء، صاحب التصانيف السائرة، والمتهم في نحلته. ويروي حديث عن غرس النعمة: "حدثنا الوزير أبو نصر بن جهير، حدثنا المنازي الشاعر قال: اجتمعت بأبي العلاء، فقلت: ما هذا الذي يروى عنك؟ قال: حسدوني، وكذبوا علي. فقلت: على ماذا حسدوك وقد تركت لهم الدنيا والآخرة؟ فقال: والآخرة؟ ! قلت: إي والله." ويختم الذهبي قوله بـ "والله أعلم بما ختم له".

أعماله

أول مجموعة شعرية ظهرت له هو ديوان سقط الزند، وقد لاقت شعبية كبيرة، وأسست شعبيته كشاعر.

ثاني مجموعة شعرية له والأكثر إبداعاً هي لزوم مالا يلزم أو اللزوميات، وقد التزم فيه المعري ما لا يلزمه نظام القوافي.

ثم ثالث أشهر أعماله هو رسالة الغفران الذي هو أحد الكتب الأكثر فاعلية وتأثيراً في التراث العربي، والذي ترك تأثيراً ملحوظاً على أجيال الكتّاب التي تلت. وهو كتاب يركز على الحضارة العربية

الشعرية ولكن بطريقة تمس جميع جوانب الحياة الخاصة، ويحكي فيه زيارة الشاعر للجنة ورؤيته لشعراء الجاهلية العرب هناك، وذلك بعكس المعتقدات الإسلامية أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأكثر ما يثير الاهتمام في رسالة الغفران هو عبقرية المعري في الاستطراد، والفلسفة العميقة، والبلاغة المذهلة. بعد ظهور آراء ميغيل آسين بلاسيوس (Miguel Asín Palacios) يقول البعض بأن من الواضح أن كتاب رسالة الغفران كان له تأثيراً على (أو حتى ألهم) دانتي أليغييري (Alighieri Dante) في كتابه الكوميديا الإلهية وذلك لأن الاثنين في كتابيهما زارا الجنة وتحدثا مع الموتى. وقد اعتبر الناقد المغربي عبد الفتاح كيلطو أن رسالة الغفران لم تكن مشهورة في عهد المعري، وأن معاصري أبي العلاء لم يعيروها اهتماما كبيرا، ولم يعتبروها تتميز عن باقي رسائل المعري، كرسالة الملائكة، أو رسالة الجنز في القرن العشرين اصبح كتاب المعري أكثر رواجا وانتشارا بفضل دانتي بحيث اشتهرت رسالة الغفران لأنها اعتبرت كرافد من الروافد التي غذت الكوميديا الإلهية.

ثم يأتي كتاب "فقرات وفترات" أو "فصول وغايات"، وهو عبارة عن مجموعة من المواعظ. وهو من أكثر كتبه إثارة للجدل عبارة عن مجموعة شعرية مماثلة لأسلوب القرآن الكريم. ويفترض بعض العلماء أن المعري كتبها لإثبات أن لغة القرآن ليست معجزة، ولكنها تبدو كذلك بالنسبة للبعض بسبب تبجيلها لمئات السنين. ولكن ليس كل العلماء يتفقون مع هذا التفسير.

أما كتبه الأخرى فهي كثيرة وفهرسها في معجم الأدباء:

١. الأيك والغصون في الأدب يربو على مائة جزء.

٢. تاج الحرة في النساء وأخلاقهن وعظاتهن، وهو أربع مائة كراس.

٣. عبث الوليد، شرح به ونقد ديوان البحتري.

٤. رسالة الغفران

٥. ديوان سقط الزند رسالة الملائكة

٦. رسالة الهناء

٧. رسالة الفصول والغايات

٨. معجزة أحمد (يعني أحمد بن الحسين المتنبي)

٩. شرح اللزوميات

١٠. شرح ديوان الحماسة

- ضوء السقط. ويعرف بالدرعيات.

١١. رسالة الصاهل والشاحج

تلاميذه

درس على أبي العلاء كثير من طلاب العلم ممن علا شأنهم في العلم والأدب، منهم:

١. أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي.

٢. أبو الخطاب العلاء بن حزم الأندلسي.

٣. أبو الطاهر محمد بن أبي الصقر الأنباري.

٤. أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي

ولقد شهد جميع شعراء عصر المعري بفطنته وحكمته وعلمه، وعندما توفي ودفن في مدينته معرة النعمان اجتمع حشد كبير من الشعراء والأدباء لتكريمه. ولقد ألف العديد من معاصريه، ومن بعدهم كتباً ودراسات حول آراء المعرّي وفلسفته، مثل: (أوج النحري عن حيثية أبي العلاء المعري)، ليوسف

البديعي، و(مع أبي العلاء المعري)، لطه حسين، و(رجعة أبي العلاء) لعباس محمود العقاد، وغيرهم كثير. كما ترجم كثير من شعر المعري إلى غير العربية. وقال ابن خلكان: "ولكثير من الباحثين تصانيف في آراء المعري وفلسفته".

براعته اللغوية

شهادة التبريزي على تفوقه اللغوي

نقل ابن العديم عن ابن الشجري عن أبي زكريا التبريزي أن قال: (ما أعرف أن العرب نطقت بكلمة ولم يعرفها المعري).

تلاميذه يختبرونه

(ولقد اتفق قوم ممن يقرأون عليه، فوضعوا حروفاً وألفوا كلمات، وأضافوا إليها من غريب اللغة ووحشيها كلمات أخرى، وسألوه عن الجميع على سبيل الامتحان فكان كلما وصلوا إلى كلمة مما ألفوه، ينزعج لها وينكرها ويستعيدها مراراً، ثم يقول: دعوا هذه. والألفاظ اللغوية يشرحها ويستشهد عليها حتى انتهت الكلمات، ثم أطرق ساعة مفكراً، ورفع رأسه، وقال: كأني بكم وقد وضعتم هذه الكلمات لتمتحنوا بها معرفتي وثقتي في روايتي، والله لئن لم تكشفوا لي الحال، وتدعوا المحال. وإلا فهذا فراق بيني وبينكم، فقالوا: والله الأمر كما قلت، وما عدوت ما قصدناه، فقال: سبحان الله، والله ما أقول إلا ما قالته العرب، وما أ **المحاضرة الثامنة**

ابن الفارض

Ibn al-Farid

المحاضرة الثامنة

ابن الفارض

Ibn al-Farid

ابن الفارض، هو أبو حفص شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي، أحد أشهر الشعراء المتصوفين، وكانت أشعاره غالبها في العشق الإلهي حتى أنه لقب بـ "سلطان العاشقين". والده من حماة في سوريا، وهاجر لاحقاً إلى مصر.

مولده ونشأته

ولد بمصر سنة ٥٧٦ هـ الموافق ١١٨١م، ولما شب اشتغل بفقه الشافعية، وأخذ الحديث عن ابن عساكر. ثم سلك طريق الصوفية ومال إلى الزهد. رحل إلى مكة في غير أشهر الحج، واعتزل في واد بعيد عنها. وفي عزلته تلك نظم معظم أشعاره في الحب الإلهي، حتى عاد إلى مصر بعد خمسة عشر عامًا.

عزلته

قضى ابن الفارض نحو ١٥ سنة من عمره في عزلة عن الناس بعد أن سافر لمكة لتأدية فريضة الحج، ثم قرر الاعتزال في وادٍ بعيد عن الناس، وكانت تلك العزلة هي المنبع الذي فاضت منه معظم أشعاره، حيث أتاحت له تأمل أحوال نفسه والغوص في الخيال البعيد وأسرار الملكوت. وبعد أن أنهى عزلته عاد إلى مصر مجددا محملا بالمعاني ودرر البيان، وعاش هناك إلى وفاته حيث دفن بجوار جبل المقطم في مسجده.

شعر ابن الفارض

من شعره قوله:

لم أخل من حسد عليك فلا تضع سهري بتشنيع الخيال المرجف

واسأل نجوم الليل هل زار الكرى جفني؟ وكيف يزور من لم يعرف

أعد ذكر من أهوى ولو بملام فإن أحاديث الحبيب مدامي

كأن عذولي بالوصال مبشري و إن كنت لم أطمع برد سلامي

طريح جوى صب جريح جوارح قتيل جفون بالدوام دوامي

وله أيضاً:

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا سر أرق من النسيم إذا سرى

وأباح طرفي نظرة أملتها فغدوت معروفا وكنت منكرا

فدهشت بين جماله وجلاله وغدا لسان الحال مني مجهرا

وله أيضاً:

قلبي يُحدثُني بأنك مُتلفي روحي فِداك ، عرَفت أم لم تعرفِ

لم أقضِ حق هواكَ إن كنتَ الذي لم أقض فيه أسى ومثلي مَن يفي

ما لي سوى روحي وباذلُ نفسه في حب من يهواه ليس بمسرفِ

فلئن رضيتَ بها فقد أسعفتني يا خيبة المسعى إذا لم تسعفِ !

يامانعي طيب المنام ومانحي ثوب السقام بـه ووَجدي المتلفِ

عطفا على رمَقي وما أبقيتَ لي من جسمي المضنى وقلبي المُدنفِ

فالوجد باقٍ والوصال مماطلي والصبر فانٍ واللقاء مسوِّفي

لم أخلُ من حسدٍ عليكَ فلا تُضِع سهَري بتشنيع الخيالِ المُرجِفِ

واسأل نجوم الليل هل زار الكرى جَفني وكيف يزور من لم يعرفِ

لا غرو إن شحّت بغمضٍ جفونها عيني وسحّت بالدموع الذرّفِ

وبما جرى في موقف التوديع من ألم النوى شاهدتُ هول الموقفِ

إن لم يكن وصلٌ لديكَ فعِد به أملي وماطل إن وعدتَ ولا تفي

فالمطلُ منك لديَّ إن عزَّ الوفا يخلو كوصلٍ من حبيبٍ مسعفِ

وله أيضاً:

أنتم فروضي ونفلي أنتم حديثي وشغلي

يا قبلتي في صلاتي إذا وقفت أصلي

جمالكم نصب عيني إليه وجهت كلي

وسركم في ضميري والقلب طور التجلي

آنست في الحيّ نارا ليلا فبشَّرت أهلي

فقلت امكثوا فلعلي أجد هداي لعلي

دنوت منها فكانت نار المكلَّم قبلي

صارت جبالي دكا من هيبة المتجلي

ولاح سرٌّ خفيّ يدريه من كان مثلي

أنا الفقير المعنَّى رقوا لحالي وذلي

وله أيضاً:

شربنا على ذكرِ الحبيبِ مدامةً سَكِرْنا بها، من قبلِ أن يُخلق الكَرمُ

لها البدرُ كأسٌ وهيَ شمسٌ يديرها هِلالٌ، وكم يبدو إذا مُزِجَتْ نَجمُ

ولولا شذاها ما اهتديتُ لحانها ولو لا سناها ما تصوَّرها الوهمُ

ولم يُبْقِ مِنها الدَّهْرُ غيرَ حُشاشَةٍ كأنَّ خَفاها، في صُدورِ النُّهى كَتْمُ

وفاته

توفي سنة ٦٣٢ هـ الموافق ١٢٣٥م في مصر ودفن بجوار جبل المقطم في مسجده المشهور.

ظن انها تطقت...)

المحاضرة التاسعة

النثر واتجاهاته وأغراضه في العصر العباسي

Prose, trends and purposes in the Abbasid era

المحاضرة التاسعة

النثر واتجاهاته وأغراضه في العصر العباسي

Prose, trends and purposes in the Abbasid era

زاد الاهتمام بالنثر منذ انبثاق نور الاسلام وقيام الدولة الجديدة زمن الرسول محمد (صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم) وأخذ ينمو ويتطوّر ويزداد اتساعا في عهد الخلفاء الراشدين (رض) ثمّ في دولة بني أمية، ولاسيما بعد الفتوحات وتوسّع رقعة الحكم الاسلامي شرقاً وغربا.

وبدأ كثير من الكتّاب بتجويد الكتابة واتقانها واظهارها بأسلوب جزل متين، وقد كانت في أوّل أمرها تميل الى الايجاز الشديد ، واختصار المعاني بأقلّ العبارات وأقصرها ، والتمسّك بالأمانة والصدق والصراحة التي درج عليها العرب وأوصى بها الدين الحنيف .

ولمّا قامت الدولة العباسيّة عظم شان الكتابة وزاد الإقبال عليها بعد أن تفتّحت أمامها مجالات واسعة، وأصبح للكتّاب مقام محمود لدى الخلفاء والوزراء والولاة ، وكان للموهوبين منهم أثر بارز في تسيير شؤون الدولة السياسية والادارية والمالية .

كان الكتّاب في العصر العباسي مثقّفين ثقافة عالية ومزوّدين بصنوف المعرفة ، تراهم يحفظون القرآن الكريم وشيئا كبيراً من الحديث النبويّ الشريف وكلام البلغاء وخطب الصحابة والخلفاء ووصاياهم وقصائد كبار الشعراء ، فضلاً عن تزوّدهم بثروة لغويّة ووقوفهم على علوم الأمم الأخرى مباشرة أو بعد ترجمتها الى اللغة العربية .

لقد توسّعت الآفاق أمام الكتابة بعد أن احتضنت الدولة العباسية الأمّة الاسلامية وتولّت رعايتهم وحمايتهم والنظر في شؤونهم السياسية والثقافية والعمرانية، فنجد هناك كتابات في التفاويض والتقاليد والمبايعات والعهود والعقود والتهاني والتعازي، الى جانب التوقيعات والخطب والرسائل والوصايا. وهناك أيضا كتابات اخوانية كالشفاعة والعتاب والشكوى والاعتذار واستنجاز الحاجات، وكتابات في أغراض تأديبية باسلوب القصص أو السّير على ألسنة الحيوانات.

وقد سلك الكتّاب آنذاك اسلوبين في كتاباتهم ، الأوّل : الاسلوب السهل المرسل العذب مع القصد في الألفاظ بقدر ما يتطلبه المعنى من الوضوح والجلاء ،ورائد هذا الاسلوب ابن المقفّع ، وسار على هذا الدرب الكثيرون ، ومنهم : عمرو بن مسعدة ، وسهل بن هرون ، واحمد بن يوسف.

أمّا الأسلوب الثاني : فهو اسلوب التأنّق واستيفاء المعنى باستقصاء أجزائه، وتقطيع الكلام الى فقر مرسله ومسجّعة ، والاستطراد الى الأخبار والنوادر والتراجم والاكثار من الشواهد الشعريّة ومأثور الكلام كما في كتابات الجاحظ.

وسنكتفي بالحديث عن بعض فنون النثر من مثل : الخطابة، والرسائل ، والمقامات .

النثر في العصر العباسي الأول يتّسم العصر العبّاسي بأنّه عصر الكتابة؛ وذلك لتطوّر الكتابة فيه تطوّرًا هائلًا من خلال أدواتها المادّيّة من الأقلام والأوراق وغيرها من جهة، ولتناوله كلّ مجالات الحياة واستخدام الدولة له في الشؤون الاجتماعية والثقافية، واتّصاله بالسّياسة والإدارة التي اصطبغت بصبغة أجنبيّة من جهة أخرى، بالإضافة إلى التّطوّر الاجتماعي والثّقافي عن طريق التّمازج الحضاري والثّقافي، من خلال التّرجمة، ودخول الإسلام من قبل أقوام أخرى وانخراطها في الثّقافة العربيّة والإسلاميّة، وقد أبدى النّثر العربيّ مرونة واسعة باحتوائه كلّ هذه الرّوافد، وأن يتّسع لها صدره، وجرّاء ذلك فقد تعدّدت أنواع النثر في العصر العبّاسي الأول، ولكنّها من حيث الإجمال تنقسم إلى قسمين كالآتي.

المحاضرة العاشرة

بديع الزمان الهمذاني

Badi Al-Zaman Al-Hamdhani

المحاضرة العاشرة

بديع الزمان الهمذاني

Badi Al-Zaman Al-Hamdhani

أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد المعروف ببديع الزمان الهمذاني ، (٣٥٨ هـ/٩٦٩ م – ٣٩٥ هـ/١٠٠٧ م)، كاتب وأديب من أسرة عربية ذات مكانة علمية مرموقة استوطنت همدان وبها ولد بديع الزمان فنسب إليها، وقد كان يفتخر بأصله العربي إذ كتب في أحد رسائله إلى أبي الفضل الأسفرائيني: «إني عبد الشيخ، واسمي أحمد، وهمدان المولد وتغلب المورد، ومضر المحتد». وقد تمكن بديع الزمان بفضل أصله العربي وموطنه الفارسي من امتلاك الثقافتين العربية والفارسية وتضلعه في آدابهما فكان لغوياً وأديبًا وشاعراً وتوفي عام ٣٩٥ هـ، انتقل بديع الزمان إلى أصفهان فانضم إلى حلبة شعراء الصاحب بن عباد، ثم يمم وجهه شطر جرجان فأقام في كنف أبي سعيد محمد بن منصور وخالط أسرة من أعيان جرجان (تعرف بالإسماعيلية) فأخذ من علمها الشيء

الكثير ثم ما فتئ أن نشب خلاف بينه وبين أبي سعيد الإسماعيلي فغادر جرجان إلى نيسابور، وكان ذلك سنة (٣٨٢هجرية/ ٩٩٢ميلادية) واشتدت رغبته في الاتصال باللغوي الكبير والأديب الذائع الصيت أبي بكر الخوارزمي، ولبى هذا الخوارزمي طلب بديع الزمان والتقيا، فلم يحسن الأول استقبال الثاني وحصلت بينهما قطيعة ونمت بينهما عداوة فاستغل هذا الوضع بعض الناس وهيؤوا للأديبين مناظرة كان الفوز فيها لبديع الزمان بفضل سرعة خاطرته، وقوة بديهته. فزادت هده الحادثة من ذيوع صيت بديع الزمان عند الملوك والرؤساء وفتحت له مجال الاتصال بالعديد من أعيان المدينة، والتف حوله الكثير من طلاب العلم، فأملى عليهم بأكثر من أربعمائة مقامة (لم يبق منها سوى اثنتان وخمسون).

لم تطل" إقامة بديع الزمان" بنيسابور وغادرها متوجها نحو سجستان فأكرمه أميرها خلف بن أحمد أيما إكرام، لأنه كان مولعا بالأدباء والشعراء. وأهدى إليه "بديع الزمان" مقاماته إلا أن الوئام بينهما لم يدم طويلا، فقد تلقى "بديع الزمان" يوما من الأمير رسالة شديدة اللهجة أثارت غضبه، فغادر سجستان صوب غزنة حيث عاش في كنف السلطان محمود الغزنوي معززا مكرماً، وكانت بين أبي العباس الفضل بن أحمد الأسفرائي وزير السلطان محمود عدة مراسلات، وفي آخر المطاف حط رحاله بديع الزمان بمدينة هرات فاتخذها دار إقامة وصاهر أبا علي الحسين بن محمد الخشنامي أحد أعيان هذه المدينة وسادتها فتحسنت أحواله بفضل هذه المصاهرة، وبمدينة هرات لفظ أنفاسه الأخيرة سنة(٣٩٥هجرية/١٠٠٧ميلادية) ولم يكن قد بلغ الأربعين من عمره، فودع الحياة التي خبرها.

مآثره

١. صفحة من مقامات بديع الزمان الهمداني
٢. مجموعة رسائل

٣. ديوان شعر

مقامات (وهي أبرز ما خلفه بديع الزمان) طبقت شهرتها الآفاق، وقد كانت وما زالت منارة يهتدي بها من يريد التأليف في هذا الفن، فيمتع الناس بالقصص الطريفة والفكاهة البارعة، ويزود طلاب العلم بما يلزمهم من الدرر الثمينة في ميدان سحر الأسلوب، وغرابة اللفظ وسمو المعنى.

المقامات

يعتبر كتاب المقامات أشهر مؤلفات بديع الزمان الهمذاني الذي له الفضل في وضع أسس هذا الفن وفتح بابه واسعاً ليلجه أدباء كثيرون أتوا بعده وأشهرهم أبو محمد القاسم الحريري ون....

والمقامات مجموعة حكايات قصيرة متفاوتة الحجم جمعت بين النثر والشعر بطلها رجل وهمي يدعى أبو الفتح الإسكندري وعرف بخداعه ومغامراته وفصاحته وقدرته على قرض الشعر وحسن تخلصه من المآزق إلى جانب أنه شخصية فكاهية نشطة تنتزع البسمة من الشفاه والضحكة من الأعماق. ويروي مغامرات هذه الشخصية التي تثير العجب وتبعث الإعجاب رجل وهمي يدعى عيسى بن هشام.

و لهذا المؤلف فضل كبير في ذيوع صيت ' بديع الزمان الهمذاني لما احتواه من معلومات جمة تفيد جميع القراء من مختلف المشارب والمآرب إذ وضعه لغاية تعليمه فكثرت فيه أساليب البيان وبديع الألفاظ والعروض، وأراد التقرب به من الأمير خلف بن أحمد فضمنه مديحاً يتجلى خاصة فيالمقامة الحمدانية والمقامة الخمرية فنوع ولون مستعملاً الأسلوب السهل، واللفظ الرقيق، والسجع القصير دون أدنى عناء أو كلفة.

و تنطوي المقامات على ضروب من الثقافة إذ نجد بديع الزمان'' يسرد علينا أخباراً عن الشعراء في مقامته الغيلانية'' و'' مقامته البشرية ويزودنا بمعلومات ذات صلة بتاريخ الأدب والنقد الأدبي في مقامته الجاحظية والقريضية والإبليسية، كما يقدم فيالمقامة الرستانية وهو السني المذهب، حجاجاً في المذاهب الدينية فيسفه عقائد المعتزلة ويرد عليها بشدة وقسوة، ويستشهد أثناء تنقلاته هذه بين ربوع الثقافة بالقرآن الكريم والحديث الشريف، وقد عمد إلى اقتباس من الشعر القديم والأمثال القديمة والمبتكرة فكانت مقاماته مجلس أدب وأنس ومتعة وقد كان يلقيها في نهاية جلساته كأنها ملحة من ملح الوداع المعروفة عند أبي حيان التوحيدي في "الامتناع والمؤانسة"، فراعى فيها بساطة الموضوع، وأناقة الأسلوب، وزودها بكل ما يجعل منها:

١. وسيلة للتمرن على الإنشاء والوقوف على مذاهب النثر والنظم.
٢. رصيد لثروة معجمية هائلة
٣. مستودعاً للحكم والتجارب عن طريق الفكاهة
٤. وثيقة تاريخية تصور جزءاً من حياة عصره وإجلال رجال زمانه.

كما أن مقامات الهمذاني تعتبر نوا ة المسرحية العربية الفكاهية، وقد خلد فيها أوصافاً للطباع الإنسانية فكان بحق واصفاً بارعاً لا تفوته كبيرة ولا صغيرة، وأن المقامات هذه لتحفة أدبية رائعة بأسلوبها ومضمونها وملحها الطريفة التي تبعث على الابتسام والمرح، وتدعو إلى الصدق والشهامة ومكارم الأخلاق التي أراد بديع الزمان إظهار قيمتها بوصف ما يناقضها، وقد وفق في ذلك أيما توفيق.

المحاضرة الحادية عشرة

المقامات الادبية

Literary stations

المحاضرة الحادية عشرة

المقامات الادبية

Literary stations

المقامات هي مجموعة من الكلام الفصيح المغلى بالصدف والمرجان مجموعة حكايات قصيرة متفاوتة الحجم جمعت بين النثر والشعر بطلها رجل وهمي. وعرف بخداعه ومغامراته وفصاحته وقدرته على قرض الشعر وحسن تخلصه من المآزق إلى جانب أنه شخصية فكاهية نشطة تنتزع البسمة من الشفاه والضحكة من الأعماق. ويروي مغامرات هذه الشخصية التي تثير العجب وتبعث الإعجاب رجل وهمي يدعى عيسى بن هشام. يعدّ كتاب المقامات أشهر مؤلفات بديع الزمان الهمذاني الذي له الفضل في وضع أسس هذا الفن وفتح بابه واسعاً ليلجه أدباء كثيرون أتوا بعده وأشهرهم أبو محمد القاسم الحريري وناصف اليازجي. ولهذا المؤلف فضل كبير في ذيوع الصيت،

بديع الزمان الهمذاني لما احتواه من معلومات جمة تفيد جميع القراء من مختلف المشارب والمآرب إذ وضعه لغاية تعليمه فكثرت فيه أساليب البيان وبديع الألفاظ والعروض، وأراد التقرب به من الأمير خلف بن أحمد فضمنه مديحاً يتجلى خاصة في المقامة الحمدانية والمقامة الخمرية فنوع ولون مستعملاً الأسلوب السهل، واللفظ الرقيق، والسجع القصير دون أدنى عناء أو كلفة.

وقد اشتهرت من المقامات مقامتان التي جالت في كل أنحاء العالم الإسلامي ، وهي :

مقامات بديع الزمان الهمذاني.

مقامات الحريري.

تنطوي المقامات على ضروب من الثقافة إذ نجد بديع الزمان'' يسرد علينا أخباراً عن الشعراء في مقامته الغيلانية'' و'' مقامته البشرية ويزودنا بمعلومات ذات صلة بتاريخ الأدب والنقد الأدبي في مقامته الجاحظية والقريضية والإبليسية، كما يقدم في المقامة الرستانية وهو السني المذهب، حجاجاً في المذاهب الدينية فيسفه عقائد المعتزلة ويرد عليها بشدة وقسوة، ويستشهد أثناء تنقلاته هذه بين ربوع الثقافة بالقرآن الكريم والحديث الشريف، وقد عمد إلى اقتباس من الشعر القديم والأمثال القديمة والمبتكرة فكانت مقاماته مجلس أدب وأنس ومتعة وقد كان يلقيها في نهاية جلساته كأنها ملحة من ملح الوداع المعروفة عند أبي حيان التوحيدي في "الامتناع والمؤانسة"، فراعى فيها بساطة الموضوع، وأناقة الأسلوب، وزودها بكل ما يجعل منها:

١. وسيلة للتمرن على الإنشاء والوقوف على مذاهب النثر والنظم.
٢. رصيد لثروة معجمية هائلة.
٣. مستودعاً للحكم والتجارب عن طريق الفكاهة.

٤. وثيقة تاريخية تصور جزءاً من حياة عصره وإجلال رجال زمانه.

كما أن مقامات بديع الزمان تعدّ نواة المسرحية العربية الفكاهية، وقد خلد فيها أوصافاً للطباع الإنسانية فكان بحق واصفاً بارعاً لا تفوته كبيرة ولا صغيرة، وأن المقامات هذه لتحفة أدبية رائعة بأسلوبها ومضمونها وملحها الطريفة التي تبعث على الابتسام والمرح، وتدعو إلى الصدق والشهامة ومكارم الأخلاق التي أراد بديع الزمان إظهار قيمتها بوصف ما يناقضها، وقد وفق في ذلك أيمن توفيق.

وهناك مقامات الحريري لمحمد الحريري التي أحدثت ضجة في العراق والأندلس بشكل خاص وفي العالم الإسلامي بشكل عام وقام يحيى بن محمود الواسطي برسم حكايتها.

المقامات، الفن العربي الأصيل

القصة أو الحكاية من أقدم الأنواع الأدبية التي ربما سبقت الشعر وتحتل مكانا واسعا بين آداب الشعوب. ولم يكن العرب منذ أقدم العصور إلا كغيرهم من الأمم، يرددون الحكايات ويتمتعون في مجالسهم بسماعها ولاشک أن القصص تصور العادات والتقاليد والآراء والمعتقدات للذين يقصون تلک القصص أو الذين يحكونها ناهيک عما يعتريها من دقائق خاصة قلما توجد في باقي الأنواع الأدبية.

ولقد ظهر في القرن الرابع الهجري نوع أدبي جديد يدعى بالمقامات يمكن القول أن جوهرها تلک القصص والحكايات إلا أن مبدعيها تعمدوا التصنيع والتأنيق فيها. وهذه المقامات تضم الحكايات والنوادر والمطايبات، بينما لاتخلومن جوانب تاريخية وحكمية وأدبية.

التمهيد:

شهد النثر العربي منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا تقلبات كثيرة تجلت في مختلف الأساليب والفنون وخلف نتاجات أدبية قيمة، إلا أن من يتتبع نتاجات الأقدمين ومؤلفاتهم نظما ونثرا يرى أنهم عنوا بالفنون الشعرية المختلفة عناية خاصة في نتاجاتهم التي تتناول التراث الشعري بين الشرح تارة والنقد تارة أخرى. وخير دليل على هذا الرأي هوالكتب المصنفة في مجال الشعر تحت العناوين المختلفة كـ"نقد الشعر" و"طبقات الشعراء" بالإضافة إلى اعتماد النحويين على الشواهد الشعرية ما استطاعوا إليه سبيلا في شرح قواعدهم النحوية.

تعد المقامات إحدى الفنون النثرية التي يبالغ فيها الاهتمام باللفظ والأناقة اللغوية وجمال الأسلوب بحيث تتعدى الشعر في احتوائها على المحسنات اللفظية إلا أنها لم تحظ اهتمام الأدباء والنقاد وهذا لايعني أنهم أهملوا هذا الفن كليا بل المقصود هوأن النثر بشكل عام والمقامات على وجه الخصوص نالا أقل اهتمام بالمقارنة إلى ما ناله الشعر العربي من علوالشأن.

يهدف هذا المقال إلى دراسة المعنيين اللغوي والأدبي للمقامة مبينا عناصرها الفنية وكيفية نشأتها وتطورها والغور في خصائصها ودراسة ما يميزها عن القصة وأخيرا التعريف بأهم أصحابها.

إن أول من قام بصياغة هذا النوع الأدبي هوبديع الزمان الهمذاني (٣٥٧هـ – ٣٩٨هـ) الذي يعد مبدع المقامات (البستاني، أدباء العرب، ج ٢، ص ٣٨٩) غير أن هناك تباين في الآراء بين النقاد والباحثين في اعتبار الهمذاني مبدعا لهذا الفن الأصيل بحيث يعتقد جرجي زيدان أن بديع الزمان الهمذاني اقتبس أسلوب مقاماته من رسائل إمام اللغويين، أبي الحسين أحمد بن فارس (٣٩٠هـ). (المصدر نفسه، الصفحة نفسها.) بينما يعتبر الدكتور زكي مبارك مقامات الهمذاني

مشتقة من أحاديث بن دريد (٣٢١هـ) ويرى بين مقامات الهمذاني وأحاديث بن دريد مشابهات قوية من حيث الحبكة القصصية واستخدام السجع. (مبارک، النثر الفني، ج ١، ص ١٩٧)

المقامات

المقامات في اللغة جمع المقامة؛ والمقامة هي المجلس. والمقصود بالمقامة فى الأدب «قصة تدورحوادثها في مجلس واحد. » (البستاني، أدباء العرب، ج ٢، ص ٣٨٩).

المقامة قصة وجيزة أوحكاية قصيرة مبنيةعلى الكدية (الاستعطاء) وعناصرها ثلاثة:

١) راوية ينقلها عن مجلس تحدث فيه.

٢) مكدٍ (بطل) تدور القصةحوله وتنتهي بانتصاره فى كل مرة.

٣) ملحة (نكتة)، (عقدة) تُحاک حولها المقامة؛ وقد تكون هذه الملحة بعيدة عن الاخلاق الكريمة وأحياناً تكون غثّة أوسَمحة وتبنى المقامة على الإغراق في الصناعة الفظية خاصة والصناعة المعنويةعامة.

تحدر فن المقامات

ليس فيما أثر عن العرب مقامات سابقة على مقامات بديع الزمان الهمذاني (٣٥٨.٣٩٨ هـ)، فهومن أجل ذلک يعتبر مبدع هذا الفن. على أن نفراً من الأدباء كابن عبد ربه وابن قتيبة والحصري، يفضلون أن يقولوا إن بديع الزمان اشتق فن المقامات من فن قصصي سابق. (المصدر نفسه، الصفحة نفسها، بتصرف.) ويريد الدكتور زكي مبارک أن يثبت أن مقامات بديع الزمان مشتقّة من "أحاديث ابن دريد"؛ وابن دريد (٣٢١ هـ) هذا كان راوية وعالماً ولغويّاً وقد عنى برواية أحاديث عن الأعراب وأهل الحضر. (مبارک، النثر الفني، ج ١، ص ١٩٧) ولاريب في أن بين أحاديث ابن دريد وبين المقامات شبهاً قوياً من حيث القصص واستخدام السجع، ولكن هناک أيضا فروقا كبيرة في الصناعة وفي العقدة وفي وجود بطل المقامات وهوالمكدي، وفي انبناء المقامة على الكدية وعلى الهزء من عقول الجماعات مع إظهار المقدرة في فنون العلم والأدب، إلى ماهنالک من خصائص يعتريها فن المقامات.

بالإضافة إلى أن هذا لايعني أنّ بديع الزمان لم يطلع على أحاديث ابن دريد أوعلى مارُوي عن العرب من قصص وأحاديثَ وأسمار، ولكن الفرق بين ما روي عن العرب من الأحاديث وبين المقامات من حيث الغاية والأسلوب كبير جداً. وعلى كل فإن بديع الزمان إن لم يكن مبدع فن المقامات، فإن مقاماته أقدم ماوصل إلينا من هذا الفن الأدبي الرائع.

خصائص المقامات

وللمقامات خصائص نستعرضها بشيء من التبيان لأوجهها:

أولا– المجلس: يجب أن تدور حوادث المقامة في مجلس واحد لاينتقل منه إلا في ماشذَّ وندر (وحدة مكان ضيقة).

ثانيا– الراوية: ولكل مجموع من المقامات راوية واحد ينقلها عن المجلس الذي تحدث فيه.

ثالثا– المكدي: ولكل مجموع من المقامات مكد واحد أيضاً أوبطل، وهوشخص خيالي في الأغلب، أبرز ميزاته أنه واسع الحيلة ذرب اللسان ذومقدرة في العلم والدين والأدب وهوشاعر وخطيب، يتظاهر بالتقوى ويضمر المجون، ويتظاهر بالجد ويضمر الهزل وهويبدوغالباً في ثوب التاعس البائس إلا أنه في الحقيقة طالب منفعة.

وتنعقد المقامة دائماً بأن يجتمع الراوية بالمكدي في مجلس واحد ويكون المكدي دائماً متنكراً، ولذلك قلما يفطن الراوية لوجوده . إذا كان قد سبقه إلى المجلس . أولحضوره إذا حضر بعده. وتنحل عقدة المقامة بأن ينكشف أمر المكدي للراوية على الأقل أويكشف المكدي أمره للراوية (وأحياناً للحاضرين) في الأغلب ولايكشف المكدي أمره إلابعد أن يكون قدنال من أهل المجلس مالا أوثيابا، بعد أن استدر عطفهم. وكثيراً ما يعلم أهل المجلس أن المكدي قد خدعهم وسلبهم، ولكنهم لايضمرون له شرا لأنه أطربهم أوسلاهم أوأفادهم.

رابعا– الملحة (النكتة أوالعقدة): وهي الفكرة التي تدور حولها القصة المتضمنة في المقامة، وتكون عادة فكرة طريفة أوجريئة، ولكنها لاتحثّ دائماً على الأخلاق الحميدة، وقد لاتكون دائماً موفقة.

خامسا– القصة نفسها: كل مقامة وحدة قصصية قائمة بنفسها، وليس ثمة صلة بين مقامة وأخرى إلا أن المؤلف واحد والراوية واحد والمكدي واحد، وقد تكون القصص من أزمنة مختلفة مُتباعدة وإن كان الراوية واحداً.

سادسا– موضوع المقامة: موضوعات المقامات مختلفة منها أدبي ومنها فقهي ومنها فكاهي و منها حماسي، ومنها خمري أومجوني، وهذه الموضوعات تتوالى على غير ترتيب مخصوص عندبديع الزمان. أما الحريري (فيما بعد) فالتزم أن تكون الموضوعات متعاقبة على نسق مخصوص وقد تكون المقامة طويلة أوقصيرة.

سابعا– اسم المقامة: واسم المقامة مأخوذ عادة من اسم البد الذي انعقد فيه مجلس المقامة نحو: المقامة الدمشقية، التبريزية، الرملية (نسبة إلى الرملة بفلسطين)، المغربية، السمرقندية، البلخية، الكوفية، البغدادية، العراقية، الخ. . . . أومن المحلة التي تنطوى عليها المقامة نحوالمقامة الدينارية، الحرزية، الشعرية، الإبليسية، الخمرية الخ. . . .

ثامنا– شخصية المقامة: إن الشخصية التي تبدوفي المقامة ليست شخصية المكدي ولكنها شخصية المؤلف وتتبني هذه الشخصية على الدراية الواسعة بكل شيء يطرقه المكدي، أوالمؤلف على الأصلح، فهوواسع الاطلاع على العلوم العربية خاصة، بصير بالفنون الأدبية من شعر ونثر وخطابة، حاد الذهن قوي الملاحظة في حل الألغاز وكشف الشبهات، مرح طروب في اجتياز العقبات وسلوك المصائب.

تاسعا– الصناعة في المقامات: فن المقامات فن تصنيع وتأنق لفظي (وخصوصاً عند الحريري) فهناك إغراق في السجع وإغراق في البديع من جناس وطباق، وإغراق في المقابلة والموازنة وفي سائر أوجه البلاغة حتى ما لايدخل في باب البلاغة على وجه الحصر؛ كالخطبة التي تقرأ طرداً وعكساً والخطبة المهملة (التي لانقط فيها) أوالتي تتعاقب فيها الأحرف المهملة والأحرف المعجمة (المنقوطة) وما إلى ذلك.

عاشرا– الشعر: المقامة قصة نثرية ولكن قد يتخللها شعر قليل أوكثير من نظم صاحبها على لسان المكدي، أومن نظم بعض الشعراء، فيما يروى، على لسان المكدي أيضاً، وقديكون إيراد الشعر لإظهار المقدرة في النظم أولاظهار البراعة في البديع خاصة عند الحريري. (فروخ، تاريخ الأدب العربي، ج ٢، صص ٤١٢– ٤١٥، بتصرف.)

ويتبع القصص والمقامات فنّ الفكاهة وهي رواية الحكاية في حال من المرح مع الاشارة إلى ما يستطيبه الناس عادة من اللهووالجنس والهزؤ والإضحاك والإطراف. والمقامات نفسها مملوءة بالفكاهة، وتظهر الفكاهة في الشعر أيضاً وتكون في الشعر لفتة بارعة أوملحة نادرة أونكتة صائبة أوتعبيراً جديداً طريفاً، وقد تكون عرضاً لأمور لاتقتضي الإنسان تفكيراً بل يأخذ الإنسان منها بظاهر القول هوناً وفي هذا الباب أخبار المكدين (المتسولين) والطفيليين، ومثل ذلك الأحاجي، وهي أسئلة على غير المنهاج المنطقي تحتاج في الإجابة التي نباهة وذكاء أكثر مما تحتاج إليه من العقل والمعرفة. وفي المقامات شيء كثير من هذا كله مبني على التوريات وراجع إلى أحوال مفردة، وهي المسمىّ "ألغازاً" فمن الفكاهة العادية قول ابن لَنكَك:

لاتَخدَعَنكَ اللّحى والصّور

تسعة أعشار مَن ترى بَقَر

ومن الألغاز سؤال في مقامات بديع الزمان هو: أي بيت (من الشعر) أولّه يغضب وآخره يلعب؟ وجواب هذا السؤال الملغز: هوقول عمروبن كلثوم:

كأنّ سيوفنا منّا ومنهم

مخاريق بأيدي لاعبينا!

(لأنّه يبدأ بالكلام على السيوف . وهى من آلات الحرب . ثم ينتهي باللعب بالمخاريق، والمخراق خرقة ملفوفة يتضارب بها الصبيان).

ويدخل في هذا الباب كتب الجدال والمناظرات والخصومات، كما نجد عند أبي حيّان التوحيدي وفي كتب علماء الكلام من الأشعرية والمعتزلة، ومانراه في كتب التوحيد وأصول الدين؛ كما يدخل فيه الكتب التي تعرض الآراء والمذاهب كرسائل إخوان الصفا وجميع الكتب المؤلفة في فنون السلوك والعلم وفي علوم العربية من اللغة والنحووالنقد.

روّاد المقامات

كان بديع الزمان الهمذاني (٣٥٧ هـ ٣٩٨ هـ) والحريري (٤٤٦هـ ٥١٦هـ) من أبزر كتاب المقامات في العصر العباسي وتتناول السطور القادمة أهم السمات الأدبية لدى الأديبين بإيجاز بالغ:

١- بديع الزمان الهمذاني (٣٥٧هـ ٣٩٨هـ) ومقاماته: إن مقامات بديع الزمان قصار في الأغلب وفيها فصاحة وسهولة ووضوح إلى جانب الدعابة والمرح والتهكم وبديع الزمان حسن الابتكار قل أن تجد له مقامتين في معنى واحد، وهويجيد في مقاماته السرد والوصف الحسّي والتحليل ويحسن دراسة الطبائع وتصوير المعائب وعرض مساوىء المجتمع، غير أنّه لايقصد إلى إصلاح هذه المساوىء بنصح أوبردع، وإنمّا غايته التهكّم بأصحابها وإطراف الآخرين بتصويرها واستعراضها، وهوكثير الاحتقار للناس.

وأسلوب بديع الزمان في مقاماته خاصة، حلوالألفاظ سائغ التركيب جميل الوصف كثير الصناعة المعنوية (في الاستعارات والكنايات والتوريات خاصة) من غير تكلّف ولا إغراق في السجع.

وللمقامات الخمسين التي بدأ بديع الزمان كتابتها منذ عام ٣٧٥ هـ راوية واحد هوعيسى بن هشام ومكد (بطل) واحد هوأبوالفتح الإسكندري (نسبة إلى الإسكندرية التي هي قرب الكوفة على الفرات) وهما شخصيتان تاريخيتان.

ومن أشهر مقاماته مقامتين؛هما المقامة المضيرية والمقامة البشرية. أما المقامة المضيرية فتظهر فيها براعة البديع في الوصف ودقة التصوير، على شيء كثير من السخر وخفة الروح. أما الأخرى البشرية، فهي التي وفق بها بديع الزمان لاختراع شاعر جاهلي تبنّاه التاريخ من بعده، ألاوهوبشر بن عوانة العبدي. (البستانى، أدباء العرب، ج ٢، صص ٣٩٠.٣٩٤ بتصرف.)

٢- أبوالقاسم الحريري (٤٤٦هـ ٥١٦هـ) ومقاماته:يبدأ الحريري مقاماته بإسناد الكلام إلى روايتها الحرث بن همّام، ولكنه لايقصتر كالبديع على قوله: (حدثنا) بل يميل إلى التغيير في بدء كل مقامة

فينتقل بين (حدّث) و(روى) و(حكى) و(أخبر) و(قال). وكان مكدي (بطل) مقاماته هوأبازيد. (البستانى، أدباء العرب، ج ٢، ص ٤٢٨)

والحريري في مقاماته أكثر تعلقاً بالحواضر من بديع الزمان، فما يكاد يخرج إلى البادية إلا في واحدة منها أواثنتين، ومقاماته في الغالب أطول من مقامات أستاذه بيد أن طولها لايعود على اتساع الفن القصصي فيها، وإنما على اجتماع خبرين في مقامة واحدة. أوعلى فيض الألفاظ، وكثرة المترادفات، ومعاقبة الجمل على المعانى. أوعلى الإكثار من الشعر، وفيه القصائد التي يشرح بها أبوزيد أحواله، ويقص أخباره.

وللحريري لغة متينة، قصيرة الجمل يقطعّها تقطيعاً موسيقياً، فما تتعدى جملته الكلمتين أوالثلاث، قلّما زادت فبلغت الخمس أوالست وهوفى إنشائه بادئ الصنعة، ظاهر التكلّف، يتعمد الغريب، ويسرف في استعماله، ويفرط في اصطناع المجاز والتزيين حتى تجف عبارته ويقل ماؤها ويعسر مساغها.

الخاتمة والنتيجة: إن هذا المقال ألقى الضوء على المقامات التي تعتبر جانبا غضا ثريا من النثر العربي الذي له عراقة في تاريخ الأدب العربي وتناول المعنيين اللغوي والأدبي للمقامات كما تحدث عن نشأة هذا الفن وتطوره واقفا عند خصائص المقامات وقوفا متأملا وأخيرا تحدث عن رواد المقامات وهما الهمذاني والحريري.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الفن فن عربي أصيل يستحق اهتماما أكثر من ذي قبل من جانب الباحثين والدارسين والأدباء ليعرفوا بذلک الجيل الجديد جانبا من جمال الأدب العربي بمناهله الثرية وتراثه الضخم.

المحاضرة الثانية عشرة

الحريري

Al-Hariri

المحاضرة الثانية عشرة

الحريري

Al-Hariri

أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري الحرامي أديب من أدباء البصرة (٤٤٦هـ/١٠٥٤م – ٦ رجب ٥١٦ هـ/١١ سبتمبر ١١٢٢م) من أكبر أدباء العرب ، وصاحب مقامات الحريري. لم يبلغ كتاب من كتب الأدب في العربية ما بلغته مقامات الحريري من بُعد الصيت واستطارة الشهرة، ولم يكد الحريري ينتهي من إنشائها حتى أقبل الوراقون في بغداد على كتابتها، وتسابق العلماء على قراءتها عليه، وذكروا أنه وقَّع بخطه في عدة شهور من سنة (٥١٤ هـ – ١١١٠م) على سبعمائة نسخة، وبلغ من شهرتها في حياة الحريري أن أقبل من الأندلس فريق من علمائها لقراءة المقامات عليه، ثم عادوا إلى بلادهم حيث تلقاها عنهم العلماء والأدباء، وتناولوها رواية وحفظًا ومدارسة وشرحًا.

حياته

ولد بالمشان، وهي من ضواحي مدينة البصرة سنة (٤٤٦ هـ – ١٠٥٤م)، ولما شبَّ عن الطوق رحل إلى البصرة، وسكن في محلة بني حرام ، وهي قبيلة عربية كانت تسكن البصرة، وتأدب بها، واتصل علي بن فضال المجاشعي ، فقرأ عليه العربية، ودرس الفقه على أبي إسحاق الشيرازي ، كما سمع الحديث من عدد غير قليل من الحفاظ والمحدثين. وكان الحريري من ذوي الغنى واليسار إلى جانب علمه الواسع، وتمكنه من فنون العربية، وكان له بقريته "المشان" ضيعة كبيرة مليئة بالنخل، وكان له بالبصرة منزل يقصده العلماء والأدباء وطالبو العلم، يقرءون عليه ويفيدون من علمه.

وكان الحريري مفرطًا في الذكاء، آية في الحفظ وسرعة البديهة، غاية في الفطنة والفهم، فما كاد يفرغ من تلقيه العلم حتى جذب الأنظار إليه، وعُين في ديوان الخلافة في منصب "صاحب الخبر"، وهي وظيفة تشبه هيئة الاستعلامات في عصرنا، ولا يُعرف على وجه اليقين متى تقلدها، لكنه ظل بها إلى أن تُوفي.

مقامات الحريري

المقامات فن من فنون الكتابة العربية ابتكره بديع الزمان الهمذاني، وهو نوع من القصص القصيرة تحفل بالحركة التمثيلية، ويدور الحوار فيها بين شخصين، ويلتزم مؤلفها بالصنعة الأدبية التي تعتمد على السجع والبديع.

يحكي الحريري عن سبب إنشائه المقامات التي بدأ في كتابتها في سنة ٤٩٥ هـ/١١٠١ م وانتهى منها عام ٥٠٤ هـ/١١١٠ م، فيقول: «إن أبا زيد السروجي كان من أهل البصرة، وكان شيخًا شحاذاً أديباً بليغاً فصيحاً، ورد البصرة، فوقف في مسجد بني حرام ، فسلّم، ثم سأل، وكان المسجد غاصاً بالفضلاء، فأعجبتهم فصاحته وحسن كلامه، وذكر أسر الروم ولده، فاجتمع عندي عشية جماعة، فحكيت ما شاهدت من ذلك السائل، وما سمعت من ظرفه، فحكى كل واحد عنه نحو ما حكيت، فأنشأت المقامة الحرامية، ثم بنيت عليها سائر المقامات التي تبلغ خمسين مقامة».

البطل والراوي

وقد نسب الحريري رواية هذه المقامات إلى الحارث بن همام، فهو الذي يروي أخبارها، ويقول ابن خلكان: إنه قصد بهذا الاسم نفسهُ، ونظر في ذلك إلى قول النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) : «"كلكم حارث وكلكم همام"» فالحارث: الكاسب، والهمام كثير الاهتمام بأموره، وما من شخص إلا

وهو حارث وهمام، وقول النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أيضاً : «" أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها حرب ومرة"» ، أما بطل هذه المقامات فهو أبو زيد السروجي، وهو متسول يعتمد على حسن الكلام وسحر البيان في جذب اهتمام الناس، واستلاب عواطفهم، واستمالة عقولهم ليمنحوه صدقاتهم. وتختلف الروايات في حقيقة أبي زيد السروجي، فمن قائل إنه اسم خيالي وضعه الحريري صاحب المقامات، واستوحاه من صورة الشحاذ الذي لقيه في مسجد بني حرام بالبصرة، في حين يذهب البعض أنه شخصية حقيقية، والأقرب إلى الصواب أن أبا زيد السروجي شخصية نسجها خيال الحريري، ليحوك من حولها حيل أديب متسول، مثلما اتخذ بديع الزمان الهمذاني من أبي الفتح الإسكندري بطلاً لمقاماته. وتبدأ المقامات بلقاء بين الحارث بن همام وأبي زيد السروجي في صنعاء، وهما في ريعان الشباب وربيع العمر، حيث لقي الحارث أبا زيد خطيبًا واعظًا في جمع من الناس، ثم تبعه فعرفه مخادعًا كذابًا، وعلى هذا اللقاء بنى الحريري المقامة الأولى، وأطلق عليها "المقامة الصنعانية"، ثم أخذ الحارث يجوب البلاد ويواصل الأسفار ليلقى أبا زيد في أماكن مختلفة، في ساحات القضاء، ومجالس الولاة، وأندية الأدباء، ثم يلتقيان في مسجد البصرة، وقد تقدم بهما العمر، وهدَّ جسدهما طول الزمن، فإذا أبو زيد يقف في حشد من الناس يعلن توبته، ويندم على ما قدّم من ذنوب وآثام، ثم يعزم على العودة إلى بلده "سروج" وينصرف إلى العبادة والصلاة، أما الحارث بن همام فيتوقف عن السفر والترحال، ويجنح إلى الراحة، ويكون هذا هو آخر لقاء بينهما، وبه تنتهي المقامة الخمسون آخر المقامات.

بين القص والصنعة البيانية

تجمع المقامات التي أنشأها الحريري بين متعة القص والحكي وتحقيق الغاية البيانية البلاغية، ويذكر في مقدمة عمله مقصده بقوله: «"أنشأت خمسين مقامة تحتوي على جد القول وهزله، ورقيق اللفظ وجزله، وغرر البيان ودرره، وملح الأدب ونوادره، إلى ما وشحتها به من الآيات، ومحاسن الكنايات ووضعته فيها من الأمثال العربية واللطائف الأدبية، والأحاجي النحوية والفتاوى اللغوية، والرسائل المبتكرة، والمواعظ المبكية، والأضاحيك الملهية"» غير أن الصنعة البيانية قد غلبت على القص

والحكاية، وزاد من افتتان الناس بها البراعة الفائقة والقدرة الفذة التي كتب بها الحريري هذا العمل، وكأن المعجم العربي قد نُثِر كله بين يديه يختار منه ما يشاء في صنعة عجيبة وإحكام دقيق. ولم يكتف الحريري بالسجع والمحسنات البديعية في مقاماته، وإنما أضاف إليها أمورًا أخرى غاية في التعقيد، لكنه تجاوز هذا التعقيد في براعة فائقة، فأورد في المقامة السادسة التي بعنوان "المراغية" رسالة بديعة تتوالى كلماتها مرة منقوطة ومرة غير منقوطة، منها قوله: «"العطاء ينجي، والمطال يشجي، والدعاء يقي، والمدح ينقي، والحر يجزي..."» ، ويسمى المقامة السادسة والعشرين باسم الرقطاء، لأنها تحتوي على رسالة، تتوالى حروف كلماتها بالتبادل بين النقط وعدمه، مثل قوله: «"ونائل يديه فاض، وشح قلبه غاض، وخلف سخائه يحتلب..."." ، وفي المقامة الثامنة يخطب أبو زيد السروجي خطبة كل كلماتها غير منقوطة، بدأها بقوله: «"الحمد لله الممدوح الأسماء، المحمود الآلاء، الواسع العطاء، المدعو لحسم اللأواء، مالك الأمم، ومصور الرمم، وأهل السماح والكرم ومهلك عاد وإرم..."».

عناية العلماء بمقامات الحريري

حظيت مقامات الحريري منذ أن ألفها الحريري باهتمام العلماء فأقبلوا عليها يشرحونها، لما زخرت به من الألفاظ والأمثال والأحاجي والألغاز، والمسائل النحوية والبلاغية، وقد أحصى "حاجي خليفة" صاحب كتاب "كشف الظنون" أكثر من خمسة وثلاثين شارحًا، منهم:

١. محمد بن علي بن عبد الله الحلي.
٢. محمد بن محمد المكي الصقلي المعروف بابن ظفر.
٣. أبو المظفر محمد بن أسعد المعروف بابن حكيم.
٤. عبد الله بن الحسين العكبري.
٥. أحمد بن عبد المؤمن من موسى الشريشي.

وقد انتبه المستشرقون منذ وقت مبكر إلى أهمية المقامات فأولوها عنايتهم وترجموها إلى لغاتهم، فقام المستشرق الهولندي "جوليوس" في سنة (١٠٦٧ هـ - ١٦٥٦م) بترجمة المقامة الأولى إلى اللغة اللاتينية، ثم نقل المستشرق الهولندي نفسه ست مقامات بين سنتي (١١٤٤ هـ - ١٧٣١ م) و (١١٥٣ هـ - ١٧٤٠م) إلى اللاتينية.

وفي فرنسا قام المستشرق "كوسان دي برسفال" بنشر المتن العربي الكامل سنة (١٣٣٧ هـ - ١٩١٨ م)، كما قام الأستاذ "دي ساسي" بجمع مخطوطات المقامات وشروحها، وعمل منها شرحًا عربيًا، وطبع المتن والشرح في باريس سنة (١٢٣٨ هـ - ١٨٢٢م). كما ترجمت المقامات إلى الألمانية، وقام بالترجمة المستشرق "ركرت"، وتمتعت هذه الترجمة بشهرة واسعة في عالم الاستشراق، وتُرجمت إلى الإنجليزية سنة (١٢٨٤ هـ - ١٨٦٧م). وكانت مقامات الحريري من أوائل ما طُبع من المكتبة العربية، وتوالت طبعاتها في باريس ولندن وليدن ولكنو ودلهي بالهند، والقاهرة وبيروت.

رسائل ومؤلفات

كان للحريري رسائل أدبية إلى جانب مقاماته، لم تحتفظ بها يد الزمن، فضاعت مع ما ضاع من التراث الإسلامي الضخم، ولكن احتفظ بعض الكتب القديمة ببعض رسائله، وقد سجّل "ياقوت الحموي" في معجم الأدباء رسالتين اشتهرتا في عصر الحريري والعصور التي تلته، إحداهما عرفت بالسينية ؛ لأن كلماتها جميعًا لا تخلو من السين، والأخرى اشتهرت بالشينية، لالتزام كلماتها بإيراد حرف الشين. وقد استهل الرسالة السينية التي كتبها على لسان بعض أصدقائه يعاتب صديقًا له - بقوله: «"باسم القدوس أستفتح، وبإسعاده أستنجح، سجية سيدنا سيف السلطان،... السيد النفيس، سيد الرؤساء، حُرست نفسه، واستنارت شمسه، وبسق غرسه واتسق أنسه، استمالة الجليس، ومساهمة الأنيس، ومواساة السحيق والنسيب..."».

وللحريري غير المقامات والرسائل ما يأتي:

١. درة الغواص في أوهام الخواص، بيّن فيه أغلاط الكتاب فيما يستعملونه من الألفاظ بغير معناها في غير موضعها، وقد طُبع في مصر سنة (١٢٧٢ هـ – ١٨٥٥م).
٢. وملحة الأعراب في صناعة الإعراب، وهي أرجوزة شعرية وقد طُبعت في باريس وبيروت والقاهرة.

أبناؤه

ذكر الذهبي أن الحريريّ خلّف ابنَيْن:

١. نجم الدين عبد الله.
٢. ضياء الإسلام عُبَيْد الله، قاضي البصرة.

وفاته

ظل الحريري في البصرة موضع تقدير أهل العلم، وجاء وضعه للمقامات فارتفعت منزلته وازدادت مكانته حتى توفي في (٦ رجب ٥١٦ هـ/١١ سبتمبر ١١٢٢م).

المحاضرة الثالثة عشرة

القاضي الفاضل

Honorable judge

المحاضرة الثالثة عشرة

القاضي الفاضل

Honorable judge

عبد الرحيم البيساني، المعروف بالقاضي الفاضل (٥٢٦هـ – ٥٩٦هـ) أحد الأئمة الكتَّاب، ووزير السلطان صلاح الدين الأيوبي حيث قال فيه صلاح الدين (لا تظنوا أني فتحت البلاد بالعساكر إنما فتحتها بقلم القاضي الفاضل) وفي رواية لا تظنّوا أني ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم القاضي الفاضل.

ولد القاضي الفاضل بمدينة "عسقلان" شمال غزة في فلسطين سنة (٥٢٦هـ) خمسمائة وست وعشرين. وانتقل إلى الإسكندرية، ثم إلى القاهرة. كان يعمل كاتبا في دواوين الدولة ووزيرًا ومستشارًا للسلطان صلاح الدين لبلاغته وفصاحته، وقد برز القاضى الفاضل في صناعة الإنشاء، وفاق المتقدمين، وله فيه الغرائب مع الإكثار. قال عنه العماد الأصفهانى: "رَبُ القلم والبيان واللسن اللسان، والقريحة الوقادة، والبصيرة النقادة، والبديهة المعجزة".

من عباراته

إنِّي رأيتُ أنَّه لا يكتُبُ إنسانٌ كتابًا في يومِه؛ إلاَّ قالَ في غَدِهِ: لو غُيِّرَ هذا لكان أحسنَ، ولو زِيدَ كذا لكان يُستَحسَنُ، ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضلَ، ولو تُرِكَ هذا لكان أجملَ. هذا مِنْ أعظَمِ العِبَرِ، وهو دليلٌ علَى استيلاءِ النَّقصِ علَى جُملةِ البَشَرِ

وفاته

كان قد أمر بإصلاح الحمام وقت السحر فأصلح وجاءته ابنته تخبره بذلك فوجدته ساكتا فهابته لأنه كان مهابا فطال سكوته حتى ارتابت فقدمت قليلا قليلا فلم تر عليه أثر حركة فوضعت يدها عليه فخر صريعا وأخذ في النزع وقبض وقت الظهر عام ٥٩٦ هـ وعمره ٧٠ عاما.

المحاضرة الرابعة عشرة

عماد الدين الاصبهاني

Imad Al-Din Al-Asbhani

المحاضرة الرابعة عشرة

عماد الدين الاصبهاني

Imad Al-Din Al-Asbhani

عماد الدين الكاتب (١١٢٥ – ٢٠ يونيو ١٢٠١)م (٥١٩ هـ – ١٣ رمضان ٥٩٧ هـ) مؤرخ وأديب وشاعر عاصر الدولة النورية والأيوبية ودون أحداثهما توفي في دمشق عام ١٢٠١.

حياته

ولد محمد بن محمد صفي الدين ابن نفيس الدين حامد بن أله، أبو عبد الله، عماد الدين الكاتب الأصبهاني في أصفهان عام ١١٢٥. انتقل منها إلى بغداد وتلقى تعليمه في المدرسة النظامية وتدرج في الوظائف، فشغل نظر البصرة وبعدها نظر واسط إلى ان أصبح نائب الوزير ابن هبيرة.

أنتقل إلى دمشق عام ١١٦٦م ٥٦٢هـ بعد وفاة الوزير ابن هبيرة، وقدّمه قاضي دمشق كمال الدين الشهرزوي إلى نور الدين زنكي ملك دمشق حيث عيّنه معلماً في المدرسة النورية التي عرفت فيما بعد بالمدرسة العمادية، ثم ولّاه بعدها الإشراف في ديوان الإنشاء .

بعد وفاة نور الدين عام ١١٧٣، عُزل عماد الدين من جميع وظائفه وطُرد من البلاط، فانتقل للعيش في الموصل. وبعد أن بلغه أن صلاح الدين الأيوبي عاد من حروبه إلى دمشق، اتصل بالقاضي الفاضل الذي توسط في أمره وعيّن في ديوان الإنشاء نائباً للقاضي الفاضل. وقد عاش حياته في دمشق ورافق صلاح الدين الأيوبي في حياته ومعاركه. أقام في منزله بعد وفاة صلاح الدين عام ١١٩٣ وأقبل على التصنيف حتى وفاته عام ١٢٠١.

مؤلفاته

١. البرق الشامي
٢. خريدة القصر وجريدة اهل العصر
٣. خطفة البارق وعطفة الشارق
٤. ديوان الرسائل

٥. ديوان شعر

٦. الفتح القسي في الفتح القدسي (كتاب تأريخي)

٧. نحلة الرحلة

٨. العتبى والعقبى

المحاضرة الخامسة عشرة

تعريف بالمصادر والمراجع العباسية

Sources and references

المصادر والمراجع

Sources and references

١. الادب في العصر العباسي – وقيمه الفنية-، محمد ابو الأنوار.
٢. تاريخ الادب في العصر العباسي، يوسف خليف
٣. -الشعر والشعراء لابن قتيبة.
٤. جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب للهاشمي.
٥. العصر العباسي الأول، الدكتور شوقي ضيف.
٦. العصر العباسي الثاني، الدكتور شوقي ضيف.
٧. الشعر العباسي، الدكتور مصطفى الشكعة.
٨. كتاب الأغاني للأصفهاني.
٩. الشعر العباسي، الدكتور علي الزبيدي.
١٠. الادب العباسي، الدكتور يوسف عبيد.